

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾



الشيخ محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الأُمّة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية
المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي
تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية.. ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾
الأنبياء: ٩٢

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾
المؤمنون: ٥٢

الفتنة الطائفية

الفتنة الطائفية بين المسلمين اليوم حقيقة قائمة على وجه الأرض، لا يمكن تجاهلها، ولا يجوز التغاضي عنها، ولا يصح التسامح معها.

هذه الفتنة قائمة في كل زمان، وقلما يتفق أن يخلو عنها زمان، ولكنها اليوم تختلف من أي وقت مضى في تاريخنا المعاصر على الأقل.

إن الفتنة الطائفية اليوم تتفجر في العراق، وباكستان، وأفغانستان، وأقاليم أخرى من العالم الإسلامي أكثر من أي وقت آخر، وتتسبب في مذابح وحرائق وانتهاك للحرمات وتكفير للمسلمين من أهل القبلة وأهل (لا إله إلاّ الله)، من غير ذنب.

وأضرى مشاهد هذه الفتنة في العراق، حيث تجري يومياً مذابح همجية، فاقدة لكل قيم الدين والأخلاق، في المحافظات المختلطة ـ مذهبيّاً ـ يجري القتل على الهوية، وعلى الاسم، والانتماء، والمحافظة التي ينتمي إليها الإنسان، ويتم تهجير آلاف العوائل من المناطق المختلطة الساخنة، بسبب الانتماء

المذهبي فقط.

ويجري في العراق تفجير السيارات المحمّلة بأطنان من المواد المتفجرة، الشديدة الانفجار، بين النساء والأطفال وطلاب المدارس والباعة المتجولين على أرصفة الشوارع والأسواق.

وليس أبشع من أن تتفجر سيارة من هذه المفخّخات على مسير الأطفال، وهم عائدون من المدرسة إلى بيوتهم، بحقائبهم المدرسية فتتناثر أجسامهم وكتبهم وأقلامهم على مساحة واسعة من الأرض.

أو تتفجر على مدخل الجامعة، حيث ينصرف الطلاب والطالبات إلى بيوتهم، أو تتفجر مفخّخة من هذه المفخّخات على باب مسجد أو حسينية مكتظة بالمصلين وقت أداء الصلاة.

وكان أبشع ما في هذه المناظر تفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، بتلك الصورة البشعة التي شاهدها الناس على صفحات الفضائيات مرتين خلال هذه الفترة القصيرة.

إن الفتنة الطائفية اليوم تجري على صعيد واسع، وبآليات متطورة، والفضائيات التي تجتذب أوسع المشاهدين في العالم العربي والإسلامي، والصحف الواسعة الانتشار، جزء من الآليات

التي تساهم في إشعال هذه الحرائق.

فضائيات، وصحف واسعة الانتشار، وبيانات في الحج، ومؤتمرات هنا وهناك، وهيئات تتحرك من بغداد، إلى بلاد شتّى، لإثارة العواطف المذهبية بين المسلمين في العالم، وتعميق الفجوة بين المذاهب الإسلامية.

وتزلزل في هذه الفتنة علماء ودعاة كنا نعرفهم بمواقفهم ومواقعهم المعتدلة تزلزلوا عن خط الاعتدال إلى خط التطرف الطائفي، مع الأسف. ولو أنك دخلت إلى شبكة (الإنترنت) أو دخلت غرفة من غرف التراشق الطائفي (البالتوك)... تعرف أننا نواجه محرقة واسعة وفتنة واسعة من أضرى ما عرفه التاريخ الإسلامي من الفتن بين المسلمين.

وإن كل الجهود التي بذلها علماء المسلمين من الشيعة والسنة خلال هذا القرن للتقريب بين المسلمين يتعرض لتهديد وخطر حقيقيين، وإن لم يعصمنا الله من هذه الفتنة ويتصدى رجال من المسلمين لمواجهة هذه الفتنة وإحباطها والسيطرة عليها... لأصابنا من هذه الفتنة شرّ كثير.

وسوف نتحدث في هذا المقال عن هذه الفتنة في ثلاث

نقاط:

١ـ آثار هذه الفتنة على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله.

٢ـ أسباب الفتنة وخلفياتها.

٣ـ علاجها ومكافحتها.

وفيما يلي مرور سريع، لغرض التنبيه والتذكير بهذه النقاط الثلاث:

الآثار الحالية والمستقبلية للفتنة

لسنا نحتاج إلى توقف كثير لمعرفة الآثار التخريبية للفتنة الطائفية في حياتنا السياسية والثقافية في العالم الإسلامي.

فإن لهذه الفتن تاريخ طويل، ومن يُلمّ بهذا التاريخ يعرف الأخطار الكبيرة الناجمة من هذه الفتن.

هذه الفتن سريعة الاشتعال.

صعبة الإخماد.

خسائرها واسعة وكبيرة.

تتسع رقعتها بسرعة.

لا تندمل جراحها إلاّ بعد زمن طويل وبجهد كبير.

تكتسح حتى الطبقة الواعية المعتدلة.

تسلب الاعتدال والتوازن والرؤية الموضوعية حتى من دعاة الاعتدال، إلاّ من عصم الله.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «إن الفتن إذا أقبلت شبّهت وإذا أدبرت نبّهت»[1].. وهو مما ذكرناه: أن هذه الفتن تسلب الرؤية الموضوعية والاعتدال، حتى من أصحاب الرؤى الموضوعية ومن أصحاب الاعتدال.

وأول هذه الخسائر إحباط مشاريع التقريب والتوحيد الذي أنجزه العلماء وقادة المسلمين في هذا القرن والقرن الذي مضى مثل السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ سليم البشري والشيخ محمود شلتوت شيخي الأزهر الشريف والسيد البروجردي والشيخ حسن البنّا وكاشف الغطاء، والإمام الخميني رحمهم الله ونظرائهم من دعاة التقريب والتوحيد.

وقد دفع هؤلاء ضريبة كبيرة من أجل رفع شعار التقريب والدعوة إليه.. صحيح أنَّ الشيعة استقبلوا خطاب الشيخ محمود

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ : ٤٤ خطبة ٩٢. شبهت: اشتبه فيها الحق بالباطل، وإذا أدبرت وخلص الناس منها تميز حقها من باطلها

شلتوت شيخ الأزهر بالترحيب والتهليل، ولكن شيخ الأزهر رحمه الله دفع ثمناً كبيراً لهذه الفتوى الجريئة في الاوساط السُّنية الرافضة لفكرة التقريب، وكذلك العكس بالنسبة إلى دعاة التقريب في المجتمع الشيعي وما تواجهه هذه الدعوة من التشكيك والرفض في بعض الأوساط الشيعية الرافضة لفكرة التقريب.

إنَّ الفتنة الطائفية، إذا اشتعلت فيما بين المسلمين تحبط هذه المشاريع الكبيرة التي تمت على يد هؤلاء الأعلام من دعاة التوحيد والتقريب.

والخسارة الثانية إحباط المشروع السياسي الإسلامي الكبير.

وهي خسارة كبرى في حياة الأمة... إن الإسلام اليوم يدخل في مواجهتين صعبتين، من الخارج والداخل، مواجهة أنظمة الاستكبار العالمي، مثل النظام الأمريكي وإسرائيل، من الخارج، ومواجهة عملاء الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، من الداخل... والمشروع الإسلامي السياسي في هاتين المواجهتين هو إنهاء النفوذ الاستكباري في العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، وأسلمة الأنظمة الحاكمة تبعا لإرادة الأمة في العالم الإسلامي... إن الإسلام اليوم يقود أوسع معارضة في

التاريخ للنفوذ الاستكباري في عالمنا... وهذا المشروع السياسي الكبير الذي نعرفه اليوم في الشرق الأوسط وفي شمال إفريقيا وغربها، وفي أفغانستان وباكستان، وتتسع دائرته لتشمل مناطق واسعة من آسيا الوسطى، وجنوب شرق آسيا... أقول: إن الفتنة الطائفية التي تشتعل اليوم في العالم الإسلامي تهدد هذا المشروع السياسي الكبير بالإحباط الكامل...

وانهدام المشروع السياسي الإسلامي بمعنى الإبقاء على نفوذ الاستكبار الغربي، وحماية العدوان والاحتلال الإسرائيلي، وتمكين الأنظمة العميلة للغرب في مواقع النفوذ والسلطة في العالم الإسلامي، واستمرار عمليات النهب والسلب لثروات المسلمين من قبل الغرب، والإبقاء على حالة التخلف والتبعية للغرب، في كل شيء، في عالمنا الإسلامي، وإبقاء الشرق الإسلامي مصدراً للغرب في المواد الخام التي يحتاجها في تصنيعه وسوقاً استهلاكياً واسعاً لمنتجاته.... الخ.

إن إحباط المشروع السياسي الإسلامي الكبير يعني قبول هذه الخسائر جميعاً.. والفتنة الطائفية التي تشتعل اليوم في بلاد عريضة من العالم الإسلامي تهديد حقيقي للمشروع السياسي

الإسلامي.

امض حيث شئت من العالم الإسلامي تجد وعياً وشعوراً بالمسؤولية، وإيماناً بضرورة عودة الإسلام إلى الحياة، وانتفاضة على الظالمين المستكبرين، وحركة سياسية، وثورة إسلامية، ووعيا جمعياً بالدور التخريبي الغربي في العالم الإسلامي في السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام، وإيماناً بفشل كل المشاريع السياسية والحضارية التي تعاقبت علينا من الشرق والغرب، ووعياً لضرورة العودة إلى الذات، بعد غياب طويل للمسلمين عن أنفسهم وتاريخهم، وتراثهم وثقافتهم وانحرافهم عنها... هذه المجموعة وغيرها هي النقاط التي تشكل من حيث المجموع الصحوة الإسلامية الكبيرة، وهي صحوة مباركة، جاءت بعد خمول وخمود طويلين.

وإذا مضت هذه الفتنة في أوساطنا، واتسعت رقعة الحرائق التي تؤجّجها هذه الفتنة، فلن يبق من هذا المشروع ما يكفي للنهوض بالمسلمين.

إن هذه النهضة الكبيرة لا تتكون في فراغ سياسي وثقافي، وإنما تنشأ وتتكامل في أجواء التعاون والتآزر، والتعامل المشترك

والموقف الواحد بين المسلمين.

والفتنة الطائفية اليوم تثير الحرائق الطائفية الواسعة في أجواء التعاون والتآزر والتعامل المشترك بين المسلمين وتنقضها وتفسدها،ولا تبقي ولا تذر منها شيئا.

وهذه الفتنة لا تفصل فقط الشيعة عن السنة، وإنما تفصل السنة بعضهم عن بعض، وتجعل المسلمين أمماً شتى، وهذا هو الذي تطلبه أنظمة الاستكبار العالمي.

والخسارة الثالثة تعطيل الترافد الثقافي بين المسلمين... إنّ ساحتنا الثقافية اليوم تشهد ترافداً ثقافياً واسعاً بين المسلمين، وشهدت انتعاشاً ثقافياً محسوساً بسبب هذا الترافد وإثراء للثقافة الإسلامية المعاصرة.

وإذا اجتمعت العقول... تأتلف القلوب كذلك، كما أن العكس صحيح أيضاً.

فكان لهذا الترافد الثقافي دور كبير في تأليف قلوب المسلمين.

والفتنة الطائفية اليوم تعيد الحواجز النفسية والثقافية بين المسلمين مرة أخرى، وتعزل الثقافة الإسلامية بعضها عن بعض...

بل تتجاوز هذه الخسارة إلى خسارة اعظم من ذلك، وهي استبدال حالة الترافد الثقافي بالتقاطع الثقافي وثقافة التقاطعات... كما حصل ذلك بين المسلمين في شبه القارة الهندية أيام الاحتلال الإنجليزي.

أسباب الفتنة

أ. دور الاستكبار العالمي في إثارة الفتنة الطائفيّة

من الخطأ أن ننظر إلى هذه الفتنة نظرة تجريدية سطحية معزولة عن الأسباب والخلفيات التي تكمن وراءها، وبمعزل عن اللعبة السياسية الدولية التي تمارسها أنظمة الاستكبار الغربي في العالم الإسلامي.

إن الآثار التخريبية والحرائق الواسعة التي تتعقب كل فتنة طائفية، وسهولة إشعال هذه الحرائق في الفتنة في لحظات الغفلة والانفعال... مما لا يمكن أن تغيب عن عيون دهاة الاستكبار العالمي.

ولجملة من هذه الأنظمة مثل الإنكليز والفرنسيين والبرتغال والإيطاليين تجارب وخبرات كثيرة في حقل الفتن الطائفية. وبعض هذه الأنظمة وإن اختفى دورها الاستكباري تماماً أو بعضاً في الشرق إلاّ أنها أورثت تجاربها في هذا الحقل للنظام الأمريكي الذي يحمل اليوم شعار الانفراد بالقوة والسيادة والسلطة والاستكبار على وجه الأرض.

ولا تعجب إذا هدّد السفير الأمريكي (انديك) العالم الإسلامي باستخدام كل الأوراق الاستكبارية حتى إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين.

فلا يمكن أن نكوّن رؤية علمية دقيقة عن هذه الفتنة وندرس الأساليب العلمية لمواجهتها من دون أن نأخذ بنظر الاعتبار دور الاستكبار العالمي في إثارة هذه الفتنة.

إن العراقيين يتحدثون عن شواهد كثيرة عن دور الأمريكان في إثارة الفتنة الطائفية، وحماية العصابات المسلّحة في ديالى، والمدائن، وتلّعفر، وبلد.

وقد قال لي شاهد عيان: بعد انفجار شاحنة الطحين في تلّعفر عندما اجتمعت العوائل عندها ليأخذوا حصصهم من الطحين الذي انقطع عنهم لفترة طويلة... فانفجرت الشاحنة وتطايرت جثث الأطفال والنساء والرجال الذين اجتمعوا حول الشاحنة ليستلموا حصتهم من الطحين.. تراكض الناس من كل صوب لانتشال من يمكن انتشاله من الجرحى والمدفونين تحت الأنقاض، فرشقهم القناصة بوابل من الرصاص، ليحدثوا مذبحة ثانية في جماعات الإنقاذ بعد الانفجار.

ولشدّ ما عجبنا أنّنا رأينا أن الأمريكان يمنعون الشرطة الذين كانوا يحمون الناس من القناصة.. فقام الأمريكان في حركة مثيرة للاستغراب بإبعاد الشرطة عن الموقع واعتقالهم ليواصل القناصة المرحلة الثانية من المذبحة في جماعات الإنقاذ بدون مشكلة.

واعتقل الأمريكان رجال الشرطة أربعا وعشرين ساعة وتم الإفراج عنهم بعد ظهر اليوم التالي ـ الأربعاء ـ الساعة الواحدة، وعلى وجوههم آثار الإرهاق، وكانوا يقولون: إن الأمريكان حاسبونا حساباً عسيراً على حماية الناس، ولما كنا نقول: إننا لم نزد على أداء الواجب في الرد على مصادر النار... كان الأمريكان يقولون:... دعوا الجرحى يموتون تحت الأنقاض... هكذا على الطريقة الأمريكية المعروفة!!!

وقد تهدم في هذا الحادث ٨٥ بيتاً من بيوت الشيعة التركمان و٢٥ محلاً للمبيعات لهم في تلّعفر، وتم قتل وجرح ٥٢٠ منهم اجتمعوا ليأخذوا حصتهم من الطحين بعد قطع الطحين عنهم عدة أيام، وقدّر أصحاب الاختصاص كمية المواد المتفجرة التي تم تفخيخ الشاحنة المحملة بـ (المادة المتفجرة المعروفة ت.أن.ت) بعدّة أطنان.

والقصة معروفة في مدينة تلّعفر ولا زال يعيش في المدينة مئات الشهود الذي شاهدوا هذا المشهد الإجرامي البشع.

إن للأمريكان حضوراً محسوساً في حوادث العنف الطائفي، ولهم دور معروف في إثارة الفتن الطائفية، ولا زال العراقيون يذكرون حادث اقتحام الأمريكان لحسينية المصطفى في بغداد، وما ترتب على ذلك من قتل وجرح وترويع للناس وتهديم للبناء، وإحراق وإتلاف لمكتبة الحسينية، ولم يعتذر الأمريكان عن جريمتهم في الحسينية قط، كما لم يعتذروا عن جرائمهم السابقة واللاحقة.

وجدار الفصل الطائفي حول الاعظمية الذي أثار غضب الشيعة والسنة معاً هو الآخر من جملة الخطط الأمريكية في العراق لتعميق الحالة الطائفية.

إنّ الأمريكان يعملون باتجاه تثبيت الحالة الطائفية وتعميقها.. وهم يعتقدون إن فرض السيطرة الأمريكية على العراق من خلال اللعبة الطائفية أيسر لهم وأقوى من أيّة آليّة أخرى.

النهضة الإسلامية المعاصرة:

إن الحالة الإسلامية المعاصرة التي نعاصرها أكثر من (الصحوة) ويصحّ تسميتها بـ (النهضة الإسلامية)... ولهذه النهضة درجات مختلفة من الوعي، والصحوة، والحركة، والمعارضة، والانتفاضة، والثورة، والدولة في مختلف أقاليم العالم الإسلامي.. والذي يتابع تطوّرات الموقف السياسي والحركي في العالم الإسلامي لا يشك أن الأمة الإسلامية تدخل طوراً جديداً من تاريخها السياسي والحضاري... تُعدُّها إن شاء الله لما وعدنا الله تعالى به في التوراة والزبور والقرآن: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[1].

ولا يخفى على غرف الرصد التابعة لأنظمة الاستكبار العالمي هذا التطور الكبير وهذه القفزات النوعية في العالم الإسلامي.

ولا شك أنهم يراقبون هذه النهضة باهتمام وقلق، ولا شك أنهم يشعرون بالخطر المقبل عليهم قريباً، ويشعرون أن المستقبل ليس في صالحهم، وأن العالم الإسلامي في سبيله للتحرر من سلطان النفوذ الغربي بالكامل، وأن المسلمين إذا تحرروا من نفوذ

١ ـ الأنبياء: ١٠٥ والذكر هنا التوراة.

الغرب، فلن يستطع الغرب أن يحافظ على موقعه السياسي والاقتصادي والعسكري في العالم... ولا شك أنهم يفكرون ويخطّطون لإحباط هذه النهضة السياسية والثقافية وتخريبها.

وإثارة هذه الفتنة الطائفية هي الأداة المفضلة عندهم لإحباط هذه النهضة الإسلامية الكبيرة.

وكان من أبرز أحداث هذه النهضة الكبيرة خلال هذا القرن والقرن الذي مضى:

- تحرير أجزاء واسعة من العالم الإسلامي من الاحتلال العسكري لأنظمة الاستكبار الغربي.
- ظهور وانتعاش الحركة الإسلامية في مصر وشمال غرب إفريقيا وغيرها، وفي الشرق الأوسط، من الجزء السني من العالم الإسلامي، وظهور وانتعاش الحركة الإسلامية في الجزء الشيعي من العالم الإسلامي في إيران والعراق ولبنان وباكستان وأفغانستان.
- فوز الإسلاميين في الانتخابات التشريعية والبلدية واستلامهم للحكم، حتى وإن كان الحكم غير إسلامي، كما حصل ذلك في الجزائر، والسودان، وتركيا، وفلسطين، والعراق بعد سقوط نظام صدام، وهو يعبر عن ثقة الناس بالإسلاميين بعد

أن فشلت كل المشاريع السياسية التي دخلت العالم الإسلامي عموماً، والعالم العربي بالخصوص.

ولا يضرّ بما نقول إجهاض المشروع الإسلامي في الجزائر على يد الجيش، وإجهاض المشروع الإسلامي في تركيا على يد العسكر الذي لا زال يحافظ على ولائه للنهج الأتاتوركي العلماني في الحكم، فقد تمكّن الإسلاميون في تركيا من كسب أكثر المواقع البرلمانية وكسبوا في هذا السِّجال السياسي رئاسة الحكومة ورئاسة الدولة (رئاسة الجمهورية).

وما صنعه الإسلاميون في تركيا بعد سجال سياسي طويل من الممكن أن يصنعه الإسلاميون في الجزائر لو أعادوا النظر في أساليبهم الحركية وطريقة تعاملهم مع الناس والواقع السياسي من حولهم.

● ويقع في هذا السياق فوز الإسلاميين في فلسطين (حماس) في الانتخابات التشريعية وكسبهم لأكثرية المقاعد البرلمانية وبالتالي استلامهم للحكم من خلال الأكثرية البرلمانية.

وكان الناس يتصورون أنّ (حماس) سوف تفقد مبادئها في العمل السياسي والحركي إذا استلمت الحكم، إلاّ أن حماس أعلنت منذ أول يوم بثباتها على مبادئها السياسية والحركية

بشجاعة، ورغم كل الضغوط التي مارستها إسرائيل وأمريكا والاتحاد الأوروبي على حماس لم تغير موقعها السياسي، وتحمّلت ظروف الحصار الاقتصادي الصعب، وانشطار الدولة بين الحكومة ورئاسة الجمهورية، ولم تتنازل عن مبادئها السياسية، وأصرّت على إعلان رأيها بحق الشعب الفلسطيني المشروع في المقاومة، ورفض الاعتراف بشرعية إسرائيل، ولم تتحول يوماً لاءاتها إلى (نعم) كما تحوّلت لاءات الأنظمة العربية إلى التطبيع مع إسرائيل والإقرار بشرعية حضورها الدولي.

● وكان من هذه الأحداث التي شكّلت قفزة كيفية في الساحة الإسلامية انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله وسقوط حكومة أسرة بهلوي، وقيام الجمهورية الإسلامية، وبذلك تتم ولادة الدولة الإسلامية الأولى في التاريخ المعاصر.

ولا أزال أتذكر تأثير انتصار الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية في انتعاش الحالة الإسلامية في كل العالم الإسلامي، وانتعاش الأمل في نفوس شباب وقيادات الحركة الإسلامية في العالم، ومتابعتهم اليومية - بل في كل ساعة - لأحداث الثورة في طهران بلهف وشوق وترقّب.

كان لانتصار الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية تأثير كبير في رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوحيد الكلمة، ورص الصف.

وقد كان قائد الثورة﵀ من المؤمنين بالوحدة والتقريب، وكان يعلن رأيه هذا إعلاناً، ويدعو المسلمين إلى إزالة الحواجز النفسية فيما بينهم، والوقوف صفّاً واحداً إزاء التحديات الأمريكية والإسرائيلية.

● وكان من هذه الأحداث انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان (حزب الله) على إسرائيل مرتين خلال ست سنوات وهزيمة إسرائيل تجاه المقاومة الإسلامية.

في المرة الأولى انسحبت إسرائيل من الجنوب اللبناني، وفي المرة الثانية قبلت قرار مجلس الأمن مرغمة بعد ثلاثة وثلاثين يوماً من القتال الضاري لحزب الله... وخرج (حزب الله) من هذه الحرب الضارية مرفوع الرأس، وخرجت إسرائيل مثقلة بتبعات كثيرة، يهدد الحكومة بالسقوط.

وكان لانتصار (حزب الله) أثر واسع في إعادة إشراقة الأمل في نفوس المسلمين وسط محاولات التطبيع في العلاقات بين

إسرائيل والأنظمة العربية، والاعتراف بشرعيتها، والهزيمة النفسية للأنظمة العربية تجاه إسرائيل.

وكان لانتصار حزب الله على إسرائيل أثر كبير في العالم الإسلامي في رصّ صفوف المسلمين. وانطلق المسلمون في كل عواصم العالم الإسلامي وحواضره من طاشقند وبخارى وسمرقند إلى جاكارتا وماليزيا، ومن دلهي وبمبي في المشرق الإسلامي إلى طنجة والدار البيضاء في المغرب العربي لتأييد وإسناد حزب الله، وتساقطت في فترة وجيزة الحواجز النفسية بين المسلمين، وتدافع الشباب في عمّان ودمشق وبغداد وإسلام آباد والكويت وطهران والمنامة والقاهرة والجزائر ومسقط يهتفون بحياة حزب الله وسقوط إسرائيل ويطالبون أنظمتهم بالسماح لهم للمشاركة إلى جانب حزب الله في قتال إسرائيل.

وكان هذا التضامن الإسلامي الواسع والسقوط السريع للحواجز الطائفية إنذاراً لقوى الاستكبار العالمي. فماذا تستطيع إسرائيل أن تصنع إذا تضامن المسلمون جميعاً ضد الكيان الإسرائيلي. إن إسرائيل التي عجزت عن مقاومة جماعة إسلامية «مقاومة» صغيرة في لبنان فهي أعجز تجاه الأمواج العارمة للأمة

الإسلامية برمّتها.

لقد كان الاستكبار بحاجة إلى حركة سريعة لاستعادة الحواجز النفسية وتشتيت الصف الإسلامي بأي ثمن، وبأي خطة... وقد وجدنا يومئذ كيف بدأت أمواج الفتن السياسية والطائفية تلتهب في العالم الإسلامي.

إن هذه الحوادث كان لها دور مباشر وغير مباشر في إزالة الحواجز الطائفية بين المسلمين، وإعادة الوئام والانسجام إلى الصف الإسلامي، وإشعار المسلمين جميعاً سُنة وشيعة بأنهم أمة واحدة، يفرح بعضهم بما يرزق الله البعض الآخر من نصر، ويحزن بعضهم بما يحل على البعض من مصيبة ورزء.

لقد كان الاستكبار بحاجة إلى حركة سريعة لاستعادة الحواجز النفسية التي بدأت تتهاوى بين يدي أمواج انتصارات المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان... لتشتيت الصف الإسلامي بأي ثمن.

إنَّ هؤلاء يملكون حسّاً مرهفاً يحس بالخطر بصورة مبكرة، من بعيد... وقد تحركت هذه المرة أجراس الخطر في أصول آذانهم، فهبوا مرّة واحدة لإبطال مفعول انتصارات حزب الله.

وكنا نتوقع يومئذ أن تبادر أمريكا وإسرائيل وحليفاتها في الغرب إلى تصعيد موجة الفتنة الطائفية في الشرق... بشكل غير اعتيادي... وهؤلاء لهم وسائل وأدوات وعملاء ومناهج وبرامج في التلفاز والفضائيات لتصعيد موجة الفتنة بين المسلمين، وأضيف إليها اليوم التكفير، والتفجير، والتفخيخ، والذبح.

كلمة الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي

يصف الشهيد الدكتور فتحي الشقاقيرحمه الله انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخمينيرحمه الله وتأثير هذا الانتصار في انتعاش الآمال والنفوس من أبناء الحركة الإسلامية، وفي الخيبة الكبيرة التي أصابت الاستكبار العالمي، الذي كان يظن أن كلّ شيء قد تم على ما يرام لصالحه في الشرق، فكان انتصار الثورة الإسلامية إحباطاً كبيراً لمخططاته وطموحاته.

ثم يصفرحمه الله المخططات الأمريكية في إحباط الثورة الإسلامية والتضييق عليها، وعزلها عن العالم الإسلامي عموماً، والعربي خصوصاً، وفرض الحرب العدوانية عليها من قبل النظام البعثي في العراق، وإثارة الفتن الطائفية في وجه إيران والثورة،

وتشويه صورتها الإسلامية من خلال هذه الفتنة التي أثارتها يومذاك... ومن المفضل أن نصغي مباشرة إلى آهات هذا الداعية الشهيد، يحدثنا كيف استجاب لهذه اللعبة السياسية شباب مؤمنون من الحركة الإسلامية، استطاعت أمريكا أن تخيب كل آمالهم في الثورة الإسلامية في إيران، وتقنعهم بأن هذه الثورة ليست إسلامية، وإنما شيعية إيرانية، والشيعة لا يُعدّون من المسلمين في شيء، وهكذا تم لهم إحباط كل الآمال التي انتعشت في هذه الثورة... والتاريخ يتكرر مرة أخرى اليوم بعد ثلاثين سنة.

فلنستمع إلى الشهيد فتحي الشقاقي:

«كان التحدي الغربي يظن أنه يوجّه ضرباته النهائية القاتلة للحضارة الإسلامية المنهارة حين وجهت الثورة الإسلامية في إيران أول سهامها للغرب وحققت أول انتصار للإسلام في العصر الحديث. لقد عادت الحياة إلى هذا الجسد الذي ظنوه قد أصبح جثة هامدة، وها هو يستفيق من جديد ينهض رائعاً وقوياً ومن أين؟ من حيث كان تأثيرهم الشيطاني أشد وأقوى وأشرس ما يكون. لقد اكتشفنا ذاتنا وها نحن ننهض، بعد قرنين

من المهانة والذل، وبعد قرون من التخلف والجهل.

ها هي الثورة الإسلامية تتقدم لترسي مفاهيم عدة منها:

١ـ أسقطت من أذهان الجميع ـ خاصة مسلمي ومستضعفي العالم ـ ذلك الرعب من الدول والقوى الكبرى.

٢ـ قدمت نموذجاً ونمطاً حضارياً جديداً للبشرية، بعد أن وضعت النمط الغربي في قفص الاتهام.

يقول المفكر الفرنسي الشهير: روجيه غارودي: (لقد وضع الخميني نمط النمو في الغرب في قفص الاتهام) ثم يقول: (الخميني أعطى حياة الإيرانيين معنى).

٣ـ أكدت على الدور التاريخي الذي سيلعبه الإسلام الثوري في حياة شعوب المنطقة بعد اكثر من قرن من محاولة إزاحة الإسلام من السلطة والتأثير.

ولكن هل يترك الغرب وعملاؤه الثورة لتمضي في طريقها... دون أن تتصدى له وتكسر شوكته؟

هل يسكتون عن الفرحة التي سكنت الأمة كأنها الغيث الذي يصيب الأرض الجدباء، بعد طول انتظار؟ وهل يسمحون لهذا الشوق الإسلامي الذي فجرته الثورة أن يأخذ مداه؟

لقد هالتهم انتفاضة هذا الشعب المسلم وثورته المستحيلة، فحاولوا جاهدين أن يحولوا بين الإسلاميين الثوريين وبين وصولهم للسلطة، وعندما فشلوا تحركوا على عدة محاور مختلفة ومتشابكة.

١ـ بدأوا في إثارة الأقليات المختلفة.

٢ـ دعم المجموعات الإيرانية المعارضة.

٣ـ الحصار الاقتصادي والسياسي.

٤ـ شن الغزو الخارجي عن طريق استخدام صدام حسين والجيش العراقي المغلوب على أمره.

٥ـ إثارة الفتنة بين جناحي الأمة المسلمة ـ السنة والشيعة ـ في محاولة أخيرة لمحاصرة المد الثوري ومنع تأثيره من الوصول إلى المناطق السنية سواء الغنيّة بالبترول أو تلك التي تواجه إسرائيل.

بدأ بعضهم يشن حملة مشبوهة ومفاجئة ضد الثورة الإسلامية التي اكتشفوا أخيرا أنها ثورة شيعية وأن الشيعة فرقة ضالة أو كافرة، وأن آية الله الخميني الذي قالوا أنه هزّ العروش وهو يجلس فوق سجادته أصبح أيضاً ضالاً كافراً(!) وبدأ يتكرر أمامنا مشهد الشاب المسلم(!) الذي يحمل كتابا سعوديا مليئاً

بالمغالطات والافتراءات، يحمله من مسجد إلى مسجد، يشرحه للناس، ويبشّر بما به من أضاليل، أدرك أن بعض هؤلاء الشباب يتحرك بحسن نية، متوهماً أنه يعمل لله، تماماً كما أدرك أن الطريق إلى جهنم مليء بمثل هذه النوايا الحسنة. فمتى يكتشف مثل هذا الشباب أنهم وبحسن نية ينفذّون مخططاً استعمارياً، وأنّ عليهم أن ينقذوا أنفسهم قبل فوات الأوان؟

إن موقف بعض الإسلاميين المعادي للثورة يفرض على الأمة أن تقف منهم موقف الشك والريبة من منطلقاتهم، من دوافعهم ومن أغراضهم.

بل أن موقفهم الغريب هذا يضع الحركة الإسلامية أمام مأزق خطير، لم تتعرض له من قبل، لأن أعداء الثورة داخل صفوف الحركة الإسلامية، يفقدون مبرر وجودهم، وليس أمام الحركة الحقيقية إلاّ أن تلفظهم إن عاجلاً أو آجلاً.

إن الذين يريدون أن يقتلوا النموذج الإيراني الفذ، في داخل الشخصية المسلمة، وفي هذا الوطن المحتل بالذات لن يقتلوا إلاّ أنفسهم، فهم يقفون أمام حركة التاريخ المتقدمة، ويتصدون لثورة إسلامية يقودها إمام هو (فخر للإسلام والمسلمين) كما

جاء في أحد بيانات التنظيم الدولي للإخوان المسلمين»[1].

رحم الله الشهيد فتحي الشقاقي لقد أدرك من هموم هذه الأمّة وقضاياها ما لم يدركه الكثيرون.

إن لكل شيء ثمناً وضريبة، وضريبة هذه الانتصارات والفتوحات التي منّ الله تعالى بها على المسلمين في هذه الفترة هي هذه الفتن التي تتفجر هنا وهناك فيما بين المسلمين.

ولست أقول ذلك تبريراً لما يحصل بين المسلمين من الفتن اليوم، فلا مبرر إطلاقا لهذا الذي يحدث في العراق بين السنة والشيعة، ولا ما يحصل في باكستان وغيرها من بلاد المسلمين، من التراشق الطائفي بين السنة والشيعة.

وإنما أقول: إننا لم نفاجأ بهذه الفتنة، وكنّا نتوقعها، ولا زلنا نتوقع التصعيد فيها.

وهذا الوعي لمخططات الاستكبار العالمي وأساليبه وأدواته يحفظ لنا موقع الفعل والعمل والتخطيط المقابل لمواجهة هذه الفتنة، ويحفظنا من المواقف الانفعالية تجاه حملات العدو، أو الاستسلام لها. وكل منهما خطأ... والصحيح هو العمل القائم

١ ـ السنة والشيعة ضجة مفتعلة للشهيد فتحي الشقاقي ص: ٧ ـ ١٢.

على الوعي الموضوعي لظروف الفتنة والتخطيط لمواجهتها وتقوى الله وابتغاء وجهه تعالى...

ب ـ الانغلاق، والتكفير، والإرهاب:

هذا المسلسل الثلاثي من أخطر أسباب الفتن الطائفية في التاريخ الإسلامي.

(الانغلاق) على الرأي الآخر، و(التكفير والإرهاب) في التعامل مع الرأي الآخر.

ولست أقول كما يقول بعض الناس إنّ في كل رأي حقاً وباطلاً، وليس كلما في هذا الرأي حق، وليس كلما في الرأي الآخر باطل... فإنّ هذا الفهم للرأي وللرأي الآخر باطل بالضرورة. والحق لا يتعدد، فإذا كان الرأي هذا حقا لا يكون الرأي الآخر حقا بالضرورة.

ولكن ذلك ليس بمعنى العصمة في الرأي... وما أكثر ما يكتشف الإنسان الخطأ في رأيه، والصواب في الرأي الآخر. ولذلك ينبغي للإنسان أن يكون منفتحا دائما على الرأي الآخر، يستمع إليه، ويحاور أصحابه.

يقول تعالى في عباده الصالحين: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

والاستماع هو (الانفتاح)، وإتّباع الأحسن هو (الموضوعية) وابتغاء الحق فيما بين الآراء... والقرآن يجعل «الانفتاح» و«الموضوعية» في الاختيار هو المقياس الدقيق للهداية (الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ).

وبعكس ذلك الانغلاق على الرأي الآخر يجرّ الإنسان إلى ضلالات ومتاهات كثيرة.

ويتبع (الانغلاق)... (التكفير) و(الإرهاب).

(التكفير) في التعامل مع الرأي الآخر و(الإرهاب) في التعامل مع أصحاب الرأي الآخر.

ودين الله أوسع صدرا وأرحب في التعامل مع الرأي الآخر وأصحابه من التكفير والإرهاب ويبقى الرأي الآخر في دائرة الإسلام إذا كان يقر صاحبه بشهادة أن لا اله إلا الله وأنَّ محمدا رسول الله، فلا يجوز إخراج هذا الرأي من دائرة الإسلام إلى

١ ـ الزمر: ١٧ ـ ١٨.

الكفر، ولا يجوز استباحة دم صاحبه... فإنَّ شهادة أن لا اله إلا الله تعصم صاحبها في دمه وماله.

* * *

وظهرت هذه (الحدّية) في الرأي و(الانغلاق) على الرأي الآخر وما يستتبعه من التكفير والإرهاب. أوّل ما ظهر في حرب صفين... ثم تكتّل أصحاب هذا الرأي لقتال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في النهروان، فقاتلهم الإمام عليه السلام وهزمهم في تلك المعركة، وهدم تكتلهم السياسي والعسكري، وعندما قال له بعض أصحابه مستبشرا بأنّهم قد هلكوا بأجمعهم... قال الإمام عليه السلام: «كلاّ، والله إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء»[1]. أي أن الحالة الخارجية لا تنتهي وما إن يهلك منهم قوم حتى ينجم منهم قرن آخر.

وكما لا ينتهي الحق، كذلك لا ينتهي الباطل.

وقد صدق الإمام عليه السلام... فإنَّ الحالة التكفيرية والتّطرف الديني الذي يبرز اليوم في الساحة الإسلامية ظهور جديد لنفس الحالة التي حاربها الإمام في النهروان: رفض مطلق للرأي الآخر،

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٦٠.

وانغلاق مطلق على الرأي، وتكفير لأهل القبلة، واستباحة لدمائهم.

وقد أصبحت اليوم هذه المسألة من كبرى قضايا العالم الإسلامي... فهم يمتلكون شبكة تنظيمية واسعة في العراق وباكستان والسعودية، ولهم امتداد في المغرب الأفريقي، مثل الجزائر، والمغرب، وامتدادات في جنوب شرق آسيا مثل اندونيزيا وماليزيا، ولهم حضور في بعض الدول الأوروبية.

وحيث أن هذه الحركة حركة سياسية وثقافية منظمة تحت الأرض... فهي تبقى بعيدة عن النور، والحوار والنقد.

وقد تسببت هذه الحركة لأضرار كبيرة وكثيرة في العالم الإسلامي اذكر منها:

١ ـ تعميق الفجوة الطائفية بين المذاهب الإسلامية وإثارة الفتنة الطائفية وتأجيجها في بلاد وأقاليم كثيرة من العالم الإسلامي مثل العراق وأفغانستان وباكستان.

فإنَّ الطرح الاستفزازي والتكفيري للمسلمين ممن لا ينسجمون مع هذا الرأي واستباحة دمائهم، والتعامل معهم من موقع التكفير والإرهاب، يؤدي بالضرورة إلى إثارة الفتنة الطائفية

وتعميق الفجوة بين المذاهب الإسلامية، وعزل المسلمين بعضهم عن بعض بجدار (الفصل الطائفي)... وهذه الفتنة لا تخص العلاقة بين الشيعة والسنّة فقط، وإنّما تمتدُّ إلى العلاقة بين أهل السنّة أيضا، كما هو حاصل الآن بالفعل، فإنَّ جملة من أعمال التفجير والتخريب التي يقوم بها الإرهاب في العراق في المناطق السنّية من بغداد وفي الرمادي وفلوجة وغيرها تمسُّ أهل السنّة بالذات.

والاستكبار العالمي يمدُّ هذه الحركة في إثارة هذه الفتن من حيث نشعر أو لا نشعر، ولنا أكثر من دليل على الدعم الأمريكي لهذه الفتن في العراق بالذات ولا تجد أمريكا وإسرائيل وغيرهما من دول الاستكبار والكفر فرصة أفضل لتحقيق أهدافهم في العالم الإسلامي من هذه الفرصة، فهي تلهيهم بمشاكلهم الداخلية، وتصرفهم عن المشاريع السياسية والحركية والثقافية والجهادية الكبرى التي تقبل عليها الأمة الإسلامية، وتؤجج بينهم نار الفتنة، وتضعفهم، وتعمّق حالات الخلاف الموجودة فيما بينهم، بما يجعل من الممتنع اجتماعهم على مكافحة نفوذ الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، واجتماعهم على تحقيق

الأمة الواحدة، وتحقيق الأهداف الكبرى التي تسعى إليها هذه الأمة.

ومراجعة واحدة لقائمة الكتب والرسائل الجامعية التي صدرت خلال هذه المدّة منذ قيام الثورة الإسلامية في إيران، ودخول الشيعة في العراق في المعادلة السياسية، يكفي لإثبات هذه الحقائق جميعا... وتكفي قراءة بضعة صفحات من هذه الكتب ليعرف الإنسان مواضع بصمات دول الاستكبار العالمي والمنظمات والمؤسسات الجاسوسية والاستخباراتية العالمية في أمريكا وإنكلترا وإسرائيل في إثارة هذه الفتنة، والله المستعان.

٢ ـ تمكين دول الاستكبار العالمي من العالم الإسلامي.

أنا لست ادري مدى نفوذ المنظمات الاستخباراتية والجاسوسية العالمية في هذه الحركة الإرهابية التكفيرية المعاصرة، ومدى اختراقها لهذه الحركة، وتأثيرها في توجيهها، ولكنّي أعلم أنَّ هذه الحركة منذ أحداث سبتمبر سنة ٢٠٠١ سهّلت لأمريكا غزو أفغانستان والعراق واحتلالهما، ودخول الأساطيل الأمريكية في المنطقة، وتوسعة حوزة الأنظمة (المعتدلة!!) في منطقة الشرق الأوسط وفي أفريقيا كما تقول

وزيرة الخارجية الأمريكية... وأنّها مكّنَت بالفعل أمريكا من فرض نفوذها على مساحة واسعة من العالم الإسلامي.

ولم يكن من الممكن أن تتمدّد أمريكا هذا التمدّد الواسع لولا ذريعة مكافحة الإرهاب.

٣ ـ كان لهذه الحركة دور واسع في تشويه صورة (الإسلام) و(الحركة الإسلامية المعاصرة) في العالم. فقد اقترنت صورة الإسلام والحركة الإسلامية المعاصرة في العالم من خلال الفضائيات بالتفجيرات والتفخيخات والدماء والأجساد المضرّجة بالدماء، والتهديد والحرائق والتخريب... والفضائيات الموالية للغرب تعرف كيف تعرض هذه الصور وكيف تستخدمها لتشويه صورة الإسلام والحركة الإسلامية.

إن التقارير التي تعدّها مؤسسات غربية إحصائية تدلّ على أن الغرب مقبل على الإسلام، والسنوات القادمة تشهد انتشارا واسعا كميّا وكيفيّا للإسلام في الغرب... وهذه قضية حقيقية لا يمكن التشكيك فيها، حتى من قبل اكثر المنظمات الغربية تطرفاً في مناوئة الإسلام.

ولسنا نشكّ انه قد كان لموجة الإرهاب والعنف وحوادث

التخريب والتفخيخ والقتل والذبح تأثير سلبي على هذه الحركة، ولسنا نشك أن المنظمات المعادية للإسلام تشارك بصورة فعّالة لنشر هذه الصورة الإرهابية عن الإسلام في الغرب.

نحن نعتقد أن الإسلام دين قوة، ودين رحمة، ونعارض الذين يقولون أن الإسلام دين رحمة فقط، ولا يستخدم القوة، وان بإمكان الإسلام أن يقضي على بؤر الفساد والشر والاستكبار في العالم من خلال الموعظة والنصيحة والتثقيف فقط، ونعتقد أنّ (القوة) أبرز سمات الإسلام إلى جانب (الرحمة) وأنّ من الرحمة القوّة... ولكن القوة شيء، وحوادث العنف والإرهاب والقتل والتفجير العشوائي شيء آخر... ولا نشك أن الحركة التكفيرية قدّمت خلال السنوات الأخيرة، صورة مشوّهة شديدة التشويه عن الإسلام، وأضرّت بتقدّم هذا الدّين وساعدتها في ذلك المنظمات العالمية المعادية للإسلام والفضائيات التي تعمل في خدمة هذه المنظمات، بشكل أو بآخر.

علاج الفتنة

إن مكافحة الفتن الطائفية والسعي إلى التقريب والتفاهم والتضامن والتعاون بين المسلمين من ثوابتنا السياسية والحضارية والاقتصادية.

وتدخل في تكوين الأمة الإسلامية الواحدة. ومن دونه لا تتحقّق الأمة الواحدة التي جعلها الله أمة وسطاً، وشاهدة على سائر الأمم.

ويتوقف عليها انتصارنا في المعترك السياسي والحضاري والثقافي والعسكري ومن دونها لا يتحقق النصر الذي نسعى إليه في مسيرتنا السياسية والثقافية.

وتتوقف عليها حركتنا الثقافية والعلمية.. فان التقاطع الطائفي والعزلة والانكفاء على الذات يؤدي بالضرورة إلى الضمور الثقافي والعلمي، وبعكس ذلك التواصل واللقاء والحوار الإيجابي يؤدي إلى التكامل العلمي والثقافي في حوزاتنا وجامعاتنا العلمية.

وهذه النقاط الثلاثة تتوقّف على التفاهم واللقاء والحوار

والتواصل بين المسلمين ومكافحة الفتن الطائفية.

إنّ هناك ثلاث قضايا رئيسية، لابد فيها من الوعي والوضوح:

ولابد من السعي لنشر وعي سياسي ـ ثقافي، تجاه هذه النقاط في أوساط الجمهور.

وهذه النقاط هي:

١ ـ وعي الأمة الواحدة.

٢ ـ الصراع الحضاري الذي تخوضه هذه الأمة.

٣ ـ وعي ضرورة الترافد الثقافي والعلمي في حياة هذه الأمة.

واليك إيضاحا سريعاً لهذه النقاط الثلاثة:

١ـ الأمة الواحدة

هذه الأمة أمة واحدة، وليست أمماً شتى.

وقد ورد هذا المعنى بصراحة في آيتين من القرآن يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وليس معنى وحدة الأمة التطابق الكامل في الرأي والاجتهاد، فان ذلك مما لا يكون.. وإنما معنى ذلك الاتفاق والتفاهم على

الأصول والانسجام والتفاهم والتعاون على المواقف السياسية، وتوحيد الولاء والبراءة والطاعة والنصرة.

٢. الصراع الحضاري

سواءاً أردنا أم لم نرد نحن ندخل اليوم في صراع حضاري عسير... والمواجهة العسكرية شكل من أشكال التعبير عن هذا الصراع.

وهذا الصراع صراع شرس.. وخصومنا في هذا الصرع جبهة واحدة، مهما تعددت توجهاتهم.

وليس من الصدفة أن تتفق أمريكا والاتحاد الأوربي على دعم إسرائيل في كل أعمالها العدوانية تجاه المسلمين، وان تقف إلى جانبها من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار حاجتها إلى المسلمين وعلاقاتها الاقتصادية الواسعة بالعالم الإسلامي.

نحن نواجه اليوم صراعاً حضارياً، سياسياً، اقتصادياً، عسكرياً، من أشرس ما يكون الصراع، وإذا خسرنا الحرب في هذه المعركة المصيرية، فسوف نعود مرة أخرى إلى دورة جديدة من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب التي طالتنا من بعد سقوط الدولة العثمانية إلى اليوم.

والانتصار والهزيمة في هذا الصراع ـ في كل أبعاده ـ قضية مصيرية في حضارتنا وتاريخنا. ولا نشك إننا نكسب هذا الصراع إذا واجهنا خصمنا أمة واحد، وصفاً واحداً، وموقفاً واحداً، وذلك إن يد الله تعالى مع الجماعة وعلى الجماعة، وإذا كانت يد الله معنا فلا يتخطانا النصر بإذن الله.

ولا نشك أنّا إذا واجهنا خصومنا مقتسمين على أنفسنا، متقاطعين في مواقفنا وإرادتنا، متخالفين في توجهاتنا، فلا نكسب هذا المعترك الحضاري الصعب.

٣. الترافد الثقافي

الترافد الثقافي من نتائج التقريب بين المذاهب الإسلامية ومن عوامله في نفس الوقت...

وقد كان علماء المسلمين وطلبة العلم يتوافدون على مدارس فقهية من مذاهب واتجاهات مختلفة، وكانوا يتبادلون الإجازات في رواية الحديث. فكان طلبة العلم من العراق، ومعظمهم من الشيعة يفدون إلى الحجاز ومصر والشام ومعظمهم من أهل السُنة، وكان يفد إلى العراق، على مدرسة الحلة، وهي حوزة شيعية عريقة طلبه من الحجاز ومصر والشام والمغرب العربي

للدراسة، كما كان لعلماء المسلمين زيارات للأقاليم الإسلامية وكان طلبة العلوم الدينية يلتمسون منهم أن يلقوا عليهم دوساً في الفقه والأصولَين (اصول الفقه واصول العقائد).

واليوم تحتضن الحوزة العلمية في قم، وهي حوزة علمية عريقة تابعة لمدرسة أهل البيت طلبه العلوم الدينية من أكثر من مائة قطرة في العالم من القارات الخمسة، وجملة من هؤلاء الطلبة الوافدين إلى هذه الجامعة من أهل السنة، ولا يجدون حرجاً في الدراسة في حوزة شيعية، كما لا تجد هذه الحوزة حرجاً أن تحتضن طلبة من المداس والاتجاهات الفقهية الأخرى، وتجري دراسة فقه المذاهب الإسلامية الأربعة في هذه الحوزة كما تجري دراسة الفقه الإمامي.

ولهذا الترافد الثقافي والعلمي أثر بالغ في التكامل العلمي والثقافي في المراكز العلمية الإسلامية.

فان الجهود العلمية والثقافية المختلفة عندما تلتقي مع بعض على صعيد موضوعي علمي، غير متشنّج يكون هذا اللقاء سبباً للإثراء والتكامل العلمي والثقافي لكل من هذه الروافد العلمية والثقافية. ويؤدي هذا الترافد إلى التقارب والتعارف بين

المذاهب المختلفة، كما أن التقارب والتعارف بين هذه المذاهب يؤدي بالضرورة إلى الترافد العلمي والثقافي.

إن ظاهرة الترافد تؤدي إلى مكافحة وإبطال الفتن الطائفية.. والعكس أيضا صحيح، فأن الفتن الطائفية تقلل من فرص الترافد الثقافي، وتحوّل الثقافة والعلم إلى دوائر مغلقة غير مترابطة، وهذه الحالة من أسباب ضمور العلم والمعرفة دائماً.

وعلى كل حال ظاهرة الترافد الثقافي ظاهرة مباركة في حياة هذه الأمة يجب أن نستعيدها ونجدّدها ونشجعها وندعمها، وهي من أفضل وسائل علاج الفتنة.

وفيما يلي سوف نتحدث عن أبرز النقاط التي تساهم في علاج الفتنة الطائفية وإخمادها. وهذه النقاط الثلاثة هي:

١ ـ الوعي والخطاب

٢ ـ اللقاء والحوار

٣ ـ العمل المشترك

وإليك تفصيل هذه النقاط:

أولاً: الوعي والخطاب

الفتنة الطائفية، كأية فتنة أخرى، تنشأ وتنمو في غياهب الجهل والجهالة.. والفتن في حياة الناس كثيرة، وكلها تتكون وتظهر وتنمو في ظلمات الجهل.

وأفضل العلاج لها ولأمثالها من الفتن هو المعرفة والوعي، فأن النور يكسح الظلمة، والمعرفة والوعي نور يزيل ما يعترضه من الظلمات،والفتن تراكم من الظلمات بعضها فوق بعض.

الوعي والتقوى

إن تحصين المجتمع من الفتن يتم بعاملين اثنين مع بعض، وهما عامل التقوى والمعرفة، فإذا اجتمعتا فأنهما يحصّنان المجتمع من أمثال هذه الفتن.

ومهما واجهنا فتنة من هذه الفتن التي تمحق دين الناس، وتثير الشغب والفوضى، وتحرق الأخضر واليابس فلابد أن يكون من وراء هذه الفتنة عجز في (التقوى) أو (الوعي) أو فيهما معاً.

فهما يحصّنان المجتمع من كل فتنة، ويمنحان صاحبهما بصيرة وفرقاناً، إذا ادلهمت الخطوب والظلمات على الناس.

الوعي السياسي

ومن أهم وجوه الوعي اليوم الوعي السياسي، فان عامل الاستكبار العالمي والمخابرات والمنظمات الجاسوسية العالمية تكمن خلف هذه الفتن.

والمؤسسات الإعلامية (الصحف والفضائيات ودور النشر) تبثّ هذه الفتن بين الناس، وتقوم بتأجيج حرائق الفتنة الطائفية بين المسلمين.

وتجد أنظمة الاستكبار العالمي في هذه الفتن الطائفية فرصة ذهبية لبسط نفوذها في العالم الإسلامي، وتمكّنها من أسواق المسلمين ومصادر الثروة النفطية والمعدنية والمائية والزراعية في العالم الإسلامي... وسوف نبسط الحديث في هذا الجانب إن شاء الله.

والأداة المفضّلة لمواجهة هذه الفتن هي الوعي السياسي الذي يمكن الناس من معرفة خلفيات هذه الفتن وجذورها، والمنظمات الجاسوسية التي تخطط لها هناك في الغرب عبر المحيطات.

ومن واجب العلماء والخطباء والمثقفين الإسلاميين نشر

الوعي السياسي بين الناس، وتمكين الناس من اختراق الغطاء الإعلامي وتمكينهم من الدرك الصحيح لما يحصل في الساحة العالمية من فنون اللعبة السياسية، وتحذير الناس من أن يكونوا ضحايا هذه اللعب والخطط التي تنتجها باستمرار العقلية الغربية تجاه العالم الإسلامي.

وعي الجمهور

ولست اعني بـ (الوعي السياسي) هنا وعي النخبة، ولست أنفي ضرورة الوعي السياسي عند النخبة، وأهميتها، ولكن وعي النخبة لا يغني عن وعي الجمهور، وإذا حلّ الوعي في الشارع الذي يتحرك فيه الجمهور وتسلّح الجمهور بالوعي، لم تعد هذه اللعب السياسية والفضائيات المضللة قادرة على تضليل الناس، وتفجير الفتن في وسط الناس، كالذي يحصل اليوم في العراق وفي بعض الأقطار الإسلامية.

فان الوعي عندما ينزل إلى مستوى الشارع ويثقف الجمهور يحصّنه من أمثال هذه الفتن... والجمهور الذي يمتلك درجة عالية من الوعي السياسي يمتلك درجة عالية من الحصانة تجاه

العوامل الإعلامية والسياسية المضللة، ولا تحتوشه الفتن.

والجمهور غير الموجّه، وغير الراشد، هو الوسط الخصب، والتربة الصالحة لأمثال هذه الفتن. وعن طريق التوعية والتثقيف السياسي يمكننا أن نحافظ على سلامة الجمهور ورشده.

والجمهور كما هو تربة صالحة للفتن والضوضاء كذلك، هو وعاء صالح للوعي والعقل والسداد والتقوى.. ويمتلك أعماقا سليمة من الفطرة لم ينفذ إليها الفساد، والقادة الحقيقيون هم الذين يدركون هذا العمق الفطري السليم للجمهور، ويقودون الجمهور إلى صراط الله المستقيم والتقوى، ويحذرونه من مغبّة الوقوع في أمثال هذه الفتن،ويفلحون في ذلك.

إن الثقة بالجمهور، وكفاءاته الكثيرة، وسلامة فطرته، هو رأس مال أولئك القادة الذين يعرفون كيف يخاطبون الجمهور، وكيف يكسبونه.. بعد الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه والاطمئنان إلى وعده بالنصر وتأييده للقلّة المؤمنة في مواجهة أمثال هذه الفتن والتحديات.

ولابد للوعي من خطاب، كما أن للتضليل السياسي خطاب، ولإثارة الفتنة بين الناس خطاب، ولتغرير الناس وتجهيلهم خطاب، كذلك للوعي خطاب.

ولغة هذا الخطاب لغة العقل، وهي اللغة المفضّلة في خطاب الوعي... إن العاطفة جزء ضروري من خطاب الجمهور لاشك في ذلك، ولكن من الخطأ الاقتصار على العاطفة في خطاب الجمهور.. ولابد من استخدام لغة العقل في خطاب الناس، إلى جانب لغة العاطفة، ولابد أن تكون لغة العقل هي الحاكمة وهي الأصل، ولغة العاطفة تأتي في امتداد لغة العقل، ولإسناد العقل عندئذ يكون الخطاب العاطفي خطاباً صالحاً للجمهور... وأمّا عندما يتمحّض خطاب الجمهور في الخطاب العاطفي فلا يكون مثل هذا الخطاب خطاباً راشداً أميناً غالباً، ولا يكون قادراً على توجيه الجمهور إلى الوجهة الصحيحة...

إن مشكلة الخطاب الإسلامي المعاصر لدى أصحاب التوجهات الطائفية المعاصرة هي الحالة العاطفية الطاغية على هذا الخطاب والحالة الشعارية، ورفض لغة العقل، وحالة

الانغلاق على الرأي الآخر، ورفض الطرف الآخر، رفضاً مطلقاً إلى حدود التكفير واستباحة الدماء التي حرّمها الله تعالى إلا بحقها، وقد يكون استجابة الجمهور أحيانا إلى الخطاب الشعاري والعاطفي أسرع من استجابتهم للخطاب العقلاني الرافض للعاطفة.. ولكن يبقى استخدام لغة العاطفة والشعار محضاً وحصراً في خطاب الجمهور - خيانة للجمهور مهما كانت استجابتهم لهذا الخطاب، واستخدام لغة العقل ومحكمات الدين في خطاب الجمهور هو الموقف الناصح الأمين من الجمهور، وان واجهه الجمهور أحيانا بالرفض.

وعلى علماء المسلمين أن يتقوا الله في الخطاب، ولا يبتغوا مرضاة الناس في ذلك، فقد يكون في الناس من يستجيب للشعار والعاطفة، وقد يكون الخطاب العاطفي والشعاري أسرع قبولاً في وسط الجمهور.. ولكنه على كل حال خيانة يجب أن يحذرها العلماء الراشدون.

والجمهور الذي يتثقف من خلال الخطاب العقلائي اكثر ثباتاً وصلابة في الموقف، والجمهور الذي يتلقى الخطاب العاطفي الشعاري جمهور متقلب في الرأي، لا يثبت على موقف

ورأي، ومسؤولية هذه الحالة المتقلّبة على عهدة الخطاب العاطفي والشعاري الذي يتلقاه هذا الجمهور من حملة الخطاب الطائفي المتشنّج.

مصدر الخطاب

وكما يجب الاهتمام بلغة الخطاب في حياتنا الثقافية والسياسية المعاصرة، كذلك يجب الاهتمام بمصدر الخطاب... هناك خطابات سياسية وثقافية كثيرة معاصرة صادرة من (الولاءات) المنتحلة الوهمية، كالولاء للقوم والوطن والعشيرة، وهي ولاءات منتحلة كاذبة في مقابل الولاء لله ولرسوله ولائمة المسلمين وللمؤمنين، وهو الولاء الراشد الصحيح الذي جاء به الوحي من عند الله: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[1]... وهذا هو الولاء الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، وهو الولاء الذي يوحّد صف المسلمين، ويجعل منهم أمة واحدة في صف مرصوص، مقابل أعداء هذه الأمة.

١ ـ المائدة: ٥٥.

وللقضاء على هذا الولاء بادر أعداء هذا الدين إلى طرح ولاءات أخرى في مقابل الولاء لله ولرسوله ولأولياء الأمور وللمؤمنين، كالولاء للقوم والوطن والعشيرة، وبذلوا أموالاً طائلة لتثبيت هذه الولاءات في ثقافة المسلمين المعاصرة، من خلال المدرسة، والصحافة، والإذاعة، والتلفاز، وإحياء المآثر الفرعونية والبابلية والكسروية والفينيقية.. إلى غير ذلك.

من خلال هذه الثقافات عملوا على زرع ولاءات وهمية، قومية ووطنيه.. مقابل الولاء لله ولرسوله.

ونحن عندما نتحدث عن الخطاب السياسي الذي يجب أن نلقيه إلى جمهورنا يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار مصدر هذا الخطاب... هذا الخطاب يجب أن يكون صادراً عن الولاء لله ولرسوله في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾[5].

وقوله تعالى:

١ ـ آل عمران: ١٠٣.

٢ ـ التوبة: ٧١.

٣ ـ الحجرات: ١٠.

٤ ـ الأنفال: ٤٦.

٥ ـ النساء: ٥٩.

﴿وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[1].

أمّة واحدة، وطاعة واحدة، وولاء واحد.

إن لكل ولاء خطاب، وخطاب كل ولاء يختلف عن الخطاب الآخر، ونحن ولاؤنا لله ولرسوله ولأولياء الأمر وللمؤمنين وليس للوطن والقوم والعشيرة.. ولهذا الولاء خطاب يختلف عن خطاب الولاء للقوم والوطن.

ونحن لا نرفض الارتباط بالقوم والوطن إلا أن هذا الارتباط من الانتماء وليس من الولاة والولاء يحكم الانتماء.. فقد حارب المسلمون صدر الإسلام أهلهم وآباءهم وإخوانهم من مكة في الله.

وخطابنا إلى جمهور أمتنا ـ في السراء والضراء ـ يجب أن ينطلق من هذا المصدر، وهو الخطاب الذي يجمع الشمل، ويزرع المحبة والمودة في القلوب، ويؤسس التفاهم والتعاون في الأفكار والأعمال.

١ ـ الأنفال: ٧٢.

الصدق والنصح في الخطاب

ويجب أن يكون الخطاب صادقاً ناصحاً.. وفي خطابنا المذهبي الطائفي المعاصر الكثير من الكذب والافتراء.. ومن يقرأ بعض أدبيات الفتنة الطائفية المعاصرة يجد نماذج كثيرة من هذا الافتراء والكذب، ومن أمثلة هذا الافتراء: الافتراء على الشيعة الإمامية بأنهم يقولون بتحريف القرآن، وهم ينفون عن أنفسهم هذه التهمة، ويصرحون ويكتبون عن صيانة القرآن عن التحريف.

ولو أنك سبرت بلاد المسلمين في كل العالم لا تجد غير هذا القرآن قرآناً يتلوه الناس ويتعبدون به في مشارق الأرض ومغاربها.

وكم يتبادل المسلمون من المذاهب المختلفة الافتراءات فيما بينهم من غير هدى ولا بيّنة.

ولا تختصّ هذه الافتراءات بين الشيعة والسنة، وإنما يتم بين الشيعة أنفسهم، والسنة أنفسهم بما لا يقلّ عما يجري بين الشيعة والسنة...

وهذا الخطاب الطائفي ينقصه الصدق والنصح..

ينقصه الصدق لأن علماء المسلمين من جميع المذاهب يكتبون ويعلنون ويصرحون أن ليس لله على وجه الأرض كله قرآن غير هذا القرآن، الذي يتلوه المسلمون صباحاً ومساءً.

وينقصه النصح لأن المسلم الذي يهمه أمر وحدة المسلمين وانسجامهم، والذي يأمر الله تعالى به ورسوله لا ينال مذاهب المسلمين بهذا اللون القاسي من الجرح والتشهير والتسقيط، من دون تثبت علمي، بل مع إعلانهم البراءة عما ينسب إليهم من الافتراء.

الشجاعة والصراحة في الخطاب

إن مواجهة ظروف الفتنة الطائفية اليوم تستدعي شجاعة وصراحة في الخطاب وما لم يمتلك حَمَلَةُ الخطاب الإسلامي هذه الشجاعة والصراحة لا يتمكنون من مواجهة الفتنة الطائفية المعاصرة واستئصالها.

إن الحالة التكفيرية المعاصرة واستباحة دماء المسلمين بغير الحق عودة للحالة الخارجية التي ظهرت صدر الإسلام في حرب صفين والنهروان في أيام خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام،وولادة جديدة

لنفس الحالة.

وهـذه الحالـة آخـذة بالتوسع والنفـوذ إلـى داخـل الحركـة الإسلامية المعاصرة.. ولابـد أن يمتلك تجاه هـذه الحالـة علمـاء المسلمين الجرأة والشجاعة والصراحة الكافيـة فـي بيـان موقـف الإسلام من هذه الجماعة ومن هذه الحالة التي تُعدّ انزلاقاً خطيـراً للحركة الإسلامية المعاصرة.

والتردد والتريث في مثل هذا البيان يؤدّي إلـى استـشراء هـذه الحالـة وتوسعها، والـى حـدوث انزلاقـات خطيـرة فـي الحركـة الإسلامية المعاصرة بهذا الاتجاه.

وقد حرّم الإسلام دم المسلم وماله إذا كان يشهد بالتوحيـد لله والنبوة لرسول الله قولاً واحداً بين فقهاء المسلمين.

روى مسلم فـي الـصحيح فـي فـضائل علـي عليه السلام: عنـدما دعـا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً في فتح خيبر فأعطاه الراية وقال لـه: امـش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علـي شـيئاً ثـم وقـف ولـم يلتفت فصرخ:

يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وان محمـداً رسـول

الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم[١].

وفي الصحيحين بالإسناد إلـى مقـداد بـن عمـرو: أنـه قـال: يـا رسـول الله أرأيـت إن لقيـت رجـلاً مـن الكفـار، فاقتتلنـا فـضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسـلمت لله، فأقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقتلـه، فان قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وانـك بمنزلتـه قبـل أن يقـول كلمته التي قال[٢].

واخرج البخـاري فـي بعـث علـي عليه السلام وخالـد إلـى الـيمن: أن رجلاً قام فقال يا رسول الله: اتق الله، فقال صلى الله عليه وآله: ويلك ألست أحـق أهـل الأرض أن يتقـي الله، فقـال خالـد يـا رسـول الله ألا أضـرب عنقه، فقال صلى الله عليه وآله: لا، لعله أن يكون يصلي[٣].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمـرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد حـرم علـيّ

١ ـ صيح مسلم ٤: ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة.

٢ ـ صحيح البخاري ٤: ١٥٨١ ح ٤٠٩٤ وصحيح مسلم ١: ٩٥ كتاب الإيمان ح١٥٥ عدى الجملة الأخيرة.

٣ ـ صحيح البخاري ٤: ١٥٨١ ح ٤٠٩٤ ومسند احمد ٤: ١٠ ـ ١١.

دماءهم وأموالهم»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[2].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «الإسلام يُحقن به الدم»[3].

وعنه عليه السلام أنه قال: «شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ به حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث»[4].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وحّد الله وكف بما يعبد من دونه حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله»[5].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس إنّي أمرت أن أقاتلكم حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله

---

١ ـ بحار الأنوار ٦٨: ٢٤٢.

٢ ـ مشكاة المصابيح ج١٢ ـ ١٤.

٣ ـ المحاسن: ٢٨٥، وبحار الأنوار ٦٨: ٢٤٣.

٤ ـ الكافي ج٢ ص٢٥، وبحار الأنوار ٦٨ : ٢٤٨.

٥ ـ مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٧٢.

وأني محمد رسول الله، فإذا فعلتم ذلك حقنتم بها أموالكم ودماءكم إلا بحقّها وكان حسابكم على الله»[1].

وروي الدارمي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّي أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت عليّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله»[2].

عن أبي سعيد الخدري قال: وجد قتيل على عهد رسول الله ﷺ فخرج مغضباً حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يقتل رجل من المسلمين لا يُدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار»[3].

وروى مسلم بن الحجاج في (الصحيح) روايتين عن رسول الله ﷺ نعرف منهما عظيم حرمة «لا إله إلا الله» وحرمة القائل

---

١ ـ المحاسن: ٢٨٤، بحار الأنوار ٦٨: ٢٨٢.

٢ ـ سنن الدارمي ٢: ٢١٨، ورواه بلفظ قريب منه عن رسول الله (ص) البخاري في ١: ٥٧ من الصحيح في فضل استقبال القبلة، وأبو داود في السنن ٢: ٤١ ـ ٤٢ باب على ما يقاتل المشركون، واحمد بن حنبل في المسند ٣: ١٩٩، و٢: ٤٤٥، ٣: ٣٣٩، و٤: ٨ ـ ٩، وابن ماجة في السنن ٢: ١٢٨٥ ـ ١٢٨٦، والنسائي في السنن ٨: ١٠٩.

٣ ـ بحار الأنوار ٧٥: ١٥٠.

بها، ولو كان القائل بها قد تظاهر بها ليحمي نفسه من القتل، وأنّ هذه الكلمة تعطي قائلها وحاملها من الحرمة ما لا يجوز لأحد انتهاكها إلا بحقه.

روى مسلم أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدّث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي ﷺ، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله قال: لمَ قتلته؟ قال: يا رسول الله اوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وإنّي حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيد على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة[1].

١ ـ صحيح مسلم ١: ٦٨ ـ ٦٩.

وروى مسلم أيضا عن أسامة بن زيد أنه قال:

«بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات[1] من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته! قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فمازال يكررها عليَّ حتى تمنّيت أني أسلمت يومئذ»[2].

ورغم أن القتيل كان مقاتلاً يقاتل المسلمين في صفوف الكافرين حتى اللحظة الأخيرة، ونطق بكلمة التوحيد في اللحظة الأخيرة عندما وجد السيف على رأسه، وواضح من كل القرائن أن الرجل شهد بـ لا إله إلا الله خوفاً من القتل وليس عن إيمان، كما قال أسامة بن زيد.. إلا أن رسول الله ﷺ غضب غضباً ظاهراً، وأنكر على أسامة بشدة وقوة، وكرّر إنكاره على أسامة حتى تمنى أسامة أن يكون قد أسلم في ذلك اليوم حتى يكون الإسلام قد جب من ذنوبه ما سبق.

١ ـ الحرقات بضم المهملة والراء وقاف بعدها من جهينة، هم بنو حميس بن عمرو بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة، كما في جمهرة ابن حزم: ٤٤٦.

٢ ـ صحيح مسلم ١: ٦٧.

خطبة رسول الله ﷺ بمنى

وهذه الخطبة ألقاها رسول الله ﷺ في جموع المسلمين الغفيرة يوم النحر بمنى، وقد روى هذه الخطبة ثقاة المحدثين بألفاظ متقاربة ونحن ننقل الخطبة برواية الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام ونشير إلى جملة من المصادر التي تروي هذه الخطبة:

عن زيد الشحّام عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن رسول الله ﷺ وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقوال لكم واعقلوه عني فإني لا أدرى لعليّ لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أيُّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا هذا الشهر، قال: فأيّ بلد اعظم حرمة؟ قالوا هذا البلد، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللّهم اشهد، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، فانه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفّاراً»[1].

---

١ ـ روى هذه الخطبة جمع غفير من الحفاظ والمحدّثين من الفريقين ولشهرتها نعرض عن ذكر مصادر الخطبة.

ثانياً: الجماعة، واللقاء، والحوار

هذه ثلاثة عناوين يحبها الله تعالى، وهي أساس التقريب والتفاهم وجمع الشمل وهي:

(الجماعة) و(الاجتماع واللقاء) و(الحوار والتفاهم).

وهذه الثلاثة هي الأداة المفضلة في دين الله لمكافحة الفتن الطائفية، وإزالة التقاطعات، والوصول إلى الانسجام والتفاهم والتعاون.

وسوف نشرح هذه الثلاثة، ونقف وقفات قصيرة عند كل واحد منها:

الجماعة (الأمّة)

نقصد بالجماعة: الأمّة الإسلامية الواحدة، وتتميز هذه الأمّة من سائر الأمم في العقيدة والشريعة والرسالة، ورسالتها التعاون والتضامن الاجتماعي على أداء هذه الرسالة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ

اتَّبَعَنِي﴾[١].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[٣].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

هؤلاء، جماعة هذه الأمة، يحملون هماً واحداً، ومسؤولية واحدة، هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أُسرة واحدة، متعاونة ومتفاهمة ومتعاطفة (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)، وهم يؤمنون جميعاً بالله ورسوله، ويطيعون الله ورسوله،

---

١ ـ يوسف: ١٠٨.

٢ ـ آل عمران: ١٠٤.

٣ ـ آل عمران: ١١٠.

٤ ـ التوبة: ٧١.

فأن الدعوة إلى الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا مع الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله.

إذن هذه الجماعة تحمل ثلاث خصال:

١ ـ الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

٢ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة..

٣ ـ التفاهم والتعاون والتعاضد والتواصي بالحق والصبر فيما بينهم.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

وعليه فأن مفهوم (الجماعة)بهذا التوضيح يلتقي مفهوم (الأمة).

وهذه الأمة أمة واحدة، وليست أمماً شتى، لا ريب في ذلك.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

---

١ ـ العصر: ٣.

وهذه الأمة بعرضها العريض أمّة واحدة، لها عقيدة واحدة وشريعة واحدة ومنهاجاً واحداً ، ودعوة واحدة، وسبيل واحد، ورسالة واحدة، يؤدّونها مجتمعين.

وهذه الوحدة والاجتماع في الأداء، وتحمّل المسؤولية، والعقيدة والشريعة والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تجعل من هذه الأمة جماعة واحدة.

وقد ورد التأكيد على هذا الاجتماع والوحدة في الأداء والوحدة في الموقف والعمل في آيات عديدة من القرآن.

منها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا﴾ فان الآية الكريمة تحمل معنيين:

الاعتصام بحبل الله، وهذا هو المعنى الأول، وان يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع (جميعاً) وهذا هو المعنى الثاني.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[1].

والآية الكريمة كذلك تحمل معنيين:

---

١ ـ البقرة: ٢٠٨.

١ ـ الدخول في السلم.

٢ ـ وان يكون هذا الدخول من قبل الجميع، (كافة).

وقد ورد التأكيد في أحاديث كثيرة متضافرة على لزوم الجماعة منها ما رواه الفريقان عن رسول الله ﷺ في الخطبة التي خطبها في مسجد (الخيف) بمنى عام حجة الوداع، واليك هذا الخطاب النبوي الشريف:

«نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواه، يسعى بذمتهم أدناهم»[1].

وهذا خطاب شريف يتضمن ثلاث دعوات، وأية دعوات؟

١ ـ الإخلاص في العلاقة بالله.

٢ ـ والنصيحة في العلاقة بأئمة المسلمين وأولياء الأمر عليهم السلام.

١ ـ بحار الأنوار ٢٧: ٦٩ ح٧.

٣ ـ واللزوم لجماعة المسلمين في العلاقة بالأُمة.

وسلامة الفرد والمجتمع بسلامة هذه العلاقات الثلاثة:

١ ـ العلاقة بالله.

٢ ـ والعلاقة بأئمة المسلمين.

٣ ـ والعلاقة بجماعة المسلمين.

فإذا سلمت علاقة الفرد بهذه المحاور الثلاثة يسلم الفرد وتسلم الأمة.

اللقاء والاجتماع

ورد في النصوص الإسلامية التأكيد على اللقاء والاجتماع والنهي عن الاختلاف والتفريق والتقاطع داخل الجماعة المسلمة، والنهي عن الخروج عن جماعة هذه الأمة والشذوذ عنها.

عن رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»[1].

وعنه ﷺ: «اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة، فان يد الله مع الجماعة، ولم

١ ـ ميزان الحكمة ١: ٧٦٥.

يجمع الله أمتي إلا على هدى، واعلموا أن كل شيطان (: البعيد من الحق) هوى في النار»[1].

وعنه أيضاﷺ: «لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبدا، اتبعوا السواد الأعظم، من شذّ في النار»[2].

وعن أميرالمؤمنينعليه السلام: «الزموا السواد الأعظم، فان يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، فلا تكونوا أنصاف الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة»[3].

وعن الإمام الصادقعليه السلام انه قال: «إن قوماً جلسوا عن حضور الجماعة فهمّ رسول اللهﷺ أن يشعل النار في دورهم حتى خرجوا وحضروا الجماعة مع المسلمين»[4].

وقد جعل الله تعالى في لقاء المؤمنين رحمة وبركة وخيراً، وجعل اللقاء والحوار من منازل رحمته وبركاته...

١ ـ كنز العمال ١: ٢٠٥ ح١٠٢٥.

٢ ـ ميزان الحكمة ١: ٤٠٦.

٣ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

٤ ـ مستدرك الوسائل ٦: ٤٥٠.

كما أن الشيطان يجعل من التباعد سبباً للنفور والقطيعة والخلاف.

واللقاء لا يتمّ من غير حوار عادة، فهما متلازمان من ناحية اللقاء. وقد رأينا بركات كثيرة في اللقاءات الأخيرة المعاصرة التي تمت في إيران بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية... بين المذاهب الإسلامية فقد كانت هذه اللقاءات مصدر خير كثير في حياة هذه الأمة، تعارف خلالها بعضهم على بعض، وتحاببوا، ووجدوا فرصاً واسعة للتفاهم والتعاون، لم يكونوا يعرفوها من قبل... في هذه اللقاءات إرتفع كثير من اللبس والغموض الذي كان ينظر من خلاله بعضهم إلى بعض من قبل، واكتشفوا مساحات مشتركة واسعة جداً في الفكر والثقافة والمعرفة، كانوا يعدونها من قبل مما ينفرد بها بعضهم عن بعض.

(الجماعة) و(الجمعة)

إن اجتماع المؤمنين واللقاء بينهم أمر يحبّه الله تعالى، وما يحبّه الله يجعل فيه البركة والخير، ويجعله من منازل رحمته.

وهذا اللقاء، وما يستتبعه من الحوار يدخل في صلب

التشريع.. فقد شرَّع الله في هذا الدين للمسلمين (الجماعة) و(الجمعة) و(الحج)..

ويدخل في (الجمعة) صلاة العيدين الفطر والأضحى.

وهذه الثلاثة (الجماعة، والجمعة، والحج) تجمعات إسلامية ثلاثة تجمع المسلمين من مختلف المذاهب والاتجاهات والاجتهادات.. ولاشك أن الحالة العبادية والذكر جزء لا يتجزأ من هذه الثلاثة... إلا أن حالة اللقاء والاجتماع أمر مقصود في هذه التشريعات الثلاثة من دون شك.

ورغم أن الإنسان يُقبل على صلاته في الخلوات أكثر من الإقبال عليها في الاجتماعات... مع ذلك كله يفضّل الإسلام إقامة الفرائض اليومية جماعة على الانفراد، وذلك نظراً لأهمية التقاء المؤمنين وتواجدهم في ساحة واحدة.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أن رسول الله ﷺ هدد أقواماً كانوا مقاطعين لصلاة الجماعة في المدينة بان يحرق بيوتهم، كما في الرواية.

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن الصادق عليه السلام: أن أناساً كانوا على عهد رسول الله ﷺ ابطئوا عن الصلاة في المسجد،

فقال رسول الله ﷺ: ليوشك قوم يدعون للصلاة (يَدَعون الصلاة ظ) في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم النار فنحرق عليهم بيوتهم»[1].

وكذلك الاهتمام بأمر (الجمعة) في الإسلام وتحشيد المؤمنين من كل منطقة في جامع عام لإقامة الجمعة، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإنّ ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض، من غير علة إلا منافق»[2].

واجتماع الحج هو الاجتماع الأوسع للامة كلها، تجتمع في موعد واحد ومكان واحد، لإقامة هذه الفريضة، وهو أوسع اجتماع يعرفه الناس على وجه الأرض.. يقيمه المسلمون في كل عام تلبية لأذان أبيهم أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[3].

---

١ ـ التهذيب ٣: ٢٥، ووسائل الشيعة ٥: ٣٧٦، نقلاً عن ميزان الحكمة ٥: ٤١٠.

٢ ـ وسائل الشيعة ٥: ٤ نقلاً عن ميزان الحكمة ٥: ٤٢٦.

٣ ـ الحج: ٢٧.

الجماعة والجمعة تجمعان كل الشرائح والمذاهب

وقد حرص الإسلام أن يحضر المسلون بكل مذاهبهم واتجاهاتهم هذه الاجتماعات الثلاثة لأداء الفريضة اليومية وصلاة الجمعة وفريضة الحج مجتمعين.

وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يؤكدون لشيعتهم حضور الجماعات والجمعات لأهل السنة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من صلّى خلفهم كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «إذا صليت معهم غُفِرَ بعدد من خالفك في قراء البسملة وحضر الصلاة في المسجد».

وذلك أن الأحناف من أهل السنة يلغون البسملة في القراءة، على خلاف مذهب أهل البيت عليهم السلام في اعتبار البسملة جزءً من كل سورة، إلا سورة التوبة.

ويشكو أحد الرواة إلى الإمام الصادق عليه السلام حاله في حضور صلوات جماعة أهل السنة يقول: إن لنا إماما مخالفاً، وهو يبغض أصحابنا كلهم، فقال عليه السلام: «ما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقاً لانت أحق بالمسجد منه، فكن أنت أول داخل وآخر

خارج، واحسن خلقك مع الناس، وقل خيراً».

ويقول الإمام الصادق لإسحاق بن عمار: «يا إسحاق أتصلي معهم في المسجد؟ قال: قلت نعم، قال صلّ معهم فان المصلي معهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله».

❊ ❊ ❊

إن من الضروري تعبئة الجماعات والجمعات بحضور الشرائح الإسلامية المختلفة من كل المذاهب والطوائف الإسلامية، وكسر الحواجز الطائفية والمذهبية فيهما.

ومن الضروري أن يكون خطاب أئمة الجمعات والجماعات خطاباً تقريبياً وحدوياً توحيدياً، يكسب كل الفرق والطوائف الإسلامية، ولا يفرّقهم ولا يُنَفِّرُهم.

ومن الضروري تعبئة الحج بالحوار الهادف الموجه بين المسلمين في شؤونهم السياسية والثقافية والاقتصادية.

مساحات اللقاء والحوار

أهم مساحات اللقاء والحوار هي المساحة الثقافية والمعرفية والمساحة السياسية والمساحة الاقتصادية.

أ. المساحة الثقافية والمعرفيّة

اللقاء، والحوار الموجّه في شؤون الثقافة والمعرفة يؤدي إلى تقريب وجهات النظر من المذاهب الإسلامية في شؤون المعرفة والعلم، كالفقه وأُصول الفقه والكلام والتفسير.

ويؤدي إلى اكتشاف مساحات مشتركة بين المذاهب الإسلامية في مختلف أبواب المعرفة، ويتبين لهم أن الخلاف في ما بين المذاهب الإسلامية في هذه المسائل لم يكن إلا خلافاً لفظياً، وهم متفقون على جوهر هذه المسائل.

كما يؤدي إلى التكامل والتلاقح العملي لدى الجميع.

وقد كانت هذه الطريقة مألوفة لدى العلماء وطلبة العلوم من المذاهب الإسلامية المختلفة في التردد على المدارس والحوزات العلمية المختلفة لتلقي العلم، رغم اختلاف

المذاهب.. وكان لهذا الترافد العلمي والثقافي أثر كبير في إثراء المعرفة والثقافة الإسلامية وتكامل العلوم والمعارف لدى المسلمين.

ب. المساحة السياسية

المساحة السياسية مساحة واسعة... وهذه المساحة اليوم أصبحت مساحة لهواة السياسة والإنتهازيين واللاعبين الدوليين في السياسة، وأن للسياسة لاعبين، يلعبون في هذه الساحة كما يلعب اللاعبون من هواة الشعبذة والمسرح.. ويقيسون العمل السياسي ويفهمونه ويقيّمونه بنفس المقاييس التي يفهم فيها الناس العاب التمثيل السينمائي والشعبذة.. يكذبون ويُكَذّبون حتى يصدقهم الناس، ويستخدمون بيوت أموال المسلمين بسخاء لكسب آراء الناس، ويبطلون الحقائق، ويحققون الزيف والكذب والباطل، بأدوات الكذب والتضليل والتغرير.

وللأسف أن الساحة السياسية في العالم اليوم تحكمها هذه العصابات، إلا ما ندر وشذّ، ولا نطيل في هذا الحديث، وسوف يطول موقفنا بين يدي الله تعالى يوم السؤال الأكبر والمحاسبة

الكبرى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1] تجاه هذه القضية.

فقد عرف الناس الظالمين، وسكتوا منهم، وجاروهم وتعاونهم معهم، ولم يحركوا ساكناً، ولم يزعجوهم بموقف أو كلمة، وتركوهم يمرحون ويلعبون بمصالح هذه الأمة وقضاياها الكبرى، وينهبون ثرواتها، ويمكّنون أنظمة الاستكبار العالمي من بلاد المسلمين، إلا القليل النادر، الذين نهضوا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجابهوهم بكلمة الحق، وكسروا كبريائهم وأذلوا غرورهم.. وهؤلاء قلة في هذه الأمة، ولكنّها قلة مباركة.

والسبيل الوحيد إلى طرد هذه العصابات السياسية الانتهازيّة من الساحة الإسلامية السياسية هو حضور جمهور المسلمين في هذه الساحة، حضور إيمان ووعي وعطاء.

إنّ حضور الجمهور في الساحة يغيّب هذه العصابات، ويسلب منهم الأضواء التي يتألّقون بها، وتكشفهم وتعرّيهم.

وهذا الحضور عبادة، بحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يطرد حملة المنكر من الساحة، ويفتح المجال

---

١ ـ الصافات: ٢٤.

للمعروف والعاملين به.

هذا الحضور عبادة، كما أن الصلاة والصيام عبادة، وهو من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

شريطة أن يكون هذا الحضور عن وعي وبصيرة، وليس حضوراً غوغائياً انفعالياً، وبشرط أن يحمل هذا الحضور خصلة المقاومة والعطاء، وليس حضوراً واهياً ضعيفاً انفعاليّاً تفرّقه طلقات من الرصاص والغازات المسيلة للدموع.

وبشرط أن يكون هذا الحضور حضوراً وحدوياً، تتجسّد فيه وحدة الصف.

ويتم الحوار فيه على أساس مصلحة الإسلام الكبرى، ويتعامل الجمهور في هذه الساحة من منطلق (الأمة الواحدة)، ويتفقون فيها على موقف واحد ورأى واحد.

إنّ مثل هذا الحضور واللقاء والحوار عندما يعمّ الساحة الإسلامية وينتشر في العواصم والحواضر والمراكز الإسلامية، يكون له دور كبير في توجيه قضايانا السياسية... ولست أريد أن أشُطَّ في الخيال وأقول: أن حضور الناس في المساحة سوف يؤدي إلى تغيير شامل لأوضاعنا السياسية الفاسدة في العالم

الإسلامي، ولكنني أقول أنّ هذا الحضور الواحد الشامل سوف يُعدّل كثيراً من قرارات الأنظمة السياسية الكبرى، مثل قرار (التطبيع)، وتبادل السلام بالأرض في فلسطين، والموقف من الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان والموقف من المسألة النووية الإيرانية، والموقف السلبي الذي اتخذته الأنظمة العربية من (حماس) في خلافها مع (منظمة التحرير الفلسطينية) ، تبعاً للموقف الأميركي -الاوربي -الإسرائيلي، والموقف من التأييد الأمريكي لإسرائيل والرفض الأمريكي للمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين (حزب الله وحماس والجهاد) ، والتفكيك بين (المقاومة) و(الإرهاب)، واحترام الأول وتبنّيه ونبذ الثاني ورفضه...

إنّ مثل هذا اللقاء والحوار في الساحة الإسلامية العريضة من أهم ضرورات المرحلة، شريطة أن نحصّن هذا اللقاء والحوار من نفوذ الأنظمة واختراقاتها، فان الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، تملك من وسائل اختراق الساحة ما يهدّد وحدة الساحة ووعيها، ويؤدي إلى تفريقها وتضليلها، وقد شاهدنا في حياتنا السياسية المعاصرة نماذج كثيرة من هذا الاختراق والتضليل والتجهيل والتفريق.

شروط اللقاء والحوار

ولكي يكون هذا اللقاء والحوار نافعين يجب أن يتوفر فيهما الشروط التالية:

١ـ تقديم مصلحة الإسلام العليا..

فقد تتدافع الأطراف الإسلامية فيما بينها، ولا يصلون إلى قناعة مشتركة، عند ذلك يجب عليهم أن يقدّموا المصلحة الإسلامية العليا على كل مصلحة.. وقد كان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قدوة لكل المسلمين في ذلك.. يقول عليه السلام فيما جرى عليه من بعد رسول الله ﷺ في تقديم الآخرين عليه في أمر الولاية والخلافة وتنحيته عن حقه في هذا الأمر:

«فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنهم مُنحّوه عني من بعده، فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي (عن البيعة)، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدْعُون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت إنْ لم

انصر الإسلام وأهله إن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة بها عليّ أعظم من فوت ولايتكم»[1].

٢ـ حسن الظن في التعامل والحوار

إن سوء الظن إذا استولى على الناس في علاقة بعضهم ببعض أفسد اللقاء، وكانت نتائج اللقاء سلبية.. وإن سوء الظن آفة كل لقاء وحوار وعمل مشترك... وقد نهانا الله تعالى عن سوء الظن في دائرة العلاقات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، بقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[2].

إن تعاطي سوء الظن في العلاقة يفسد العلاقة ويلغيها.

٣ـ العقلائية في اللقاء والحوار:

عندما نكون في منعطف تاريخي حساس، كالمنعطف الذي تعيشه الأُمّة الإسلامية اليوم.

---

١ ـ نهج البلاغة: كتاب رقم ٦٢.

٢ ـ الحجرات: ١٢.

وعندما تكون الأمة الإسلامية ناهضة، وتخوض صراعاً مريـراً في مواجهة الأنظمة المرتبطـة بعجلـة الاسـتكبار العـالمي وأنظمـة الاستكبار العالمي التي تقف خلف هذه الأنظمة.

وعنـدما تُحـشّد أنظمـة الاسـتكبار العـالمي كـل إمكاناتهـا لمواجهة التيار الإسلامي العظيم الذي يعم كل العالم الإسلامي.

وكان الموقف بيننـا وبـين الاسـتكبار العـالمي موقفـاً تاريخيـاً مصيرياً فاصلاً...

أقول عند ذلـك فـإنّ مـن أفـدح الأخطـاء فـي ظـروف صـعبة وعسيرة مثل هذه الظروف أن تغلـب العاطفـة والانفعـال والـشعار علـى مواقفنـا الـسياسية ولقاءاتنـا وخطابنـا لجماهيرنـا وحواراتنـا المتبادلة داخل البيت الإسلامي الكبير.

إن لغـة العاطفـة والانفعـال والـشعار، كمـا هـو نـافع فـي إثـارة الهمم وإنهاض الجمهور يُمكـنُ أن يتحـول فـي بعـض الحـالات إلى ألغام سريعة الانفجـار تُحَـوّل الـساحة إلـى سـاحات للـسجال والجدال العقيم الضار.

ونتمنى، لو أن طرفاً أو جهة أو شخـصاً أراد أن يـستخدم هـذه اللغـة فـي إثـارة التـشنج فـي صـفوف المـسلمين، ويعكـر صـفو

العلاقات الإسلامية داخل الصف الإسـلامي... نتمنـى أن يواجهـه الآخرون بالعقلانية الإسلامية والدعوة إلى ما يأمرنـا الله تعـالى بـه من الاعتصام بحبـل الله ﴿وَاعْتَـصِمُواْ بِحَبْـلِ اللّـهِ﴾ والنهـي عـن التفرقة ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.

٤ـ الوعي السياسي

إن الحالة السياسية والإعلامية في العالم، والعلاقـات الـسياسية والاقتصادية بين أنظمة الاسـتكبار العـالمي، والأنظمـة التابعـة لهـا في العالم الإسـلامي، والعلاقـة بـين الـسياسة والإعـلام... حـالات معقدة شديدة التعقيـد، ويـدخل فـي تكوينهـا عوامـل غيـر مرئيـة كثيرة، وما يظهر على السطح من التصريحات والعلاقـات لا يعبّـر عن كل شيء...

اذكـر فـي المـصالحة التـي تمـت بـين نظـام عربـي وإسـرائيل بالوسـاطة الأمريكيـة وتـصافح زعيمـا الطـرفين أمـام أضـواء الكاميرات في حضور الرئيس الأمريكي فاجأ الـرئيس الأمريكـي المسؤول العربي بالسؤال التالي:

منذ كم كانت لكم علاقـة وارتبـاط ولقـاءات مـع المـسؤولين

في إسرائيل؟

فقال المسؤول العربي الكبير مأخوذاً بهذه المفاجأة ممتعضاً من هذا الإحراج: منذ عشرين عاماً.

إن هذا السؤال والجواب يكشف عن الاحتقار الأمريكي لجملة من زعماء الأنظمة العربية الذين تحميهم أمريكا نفسها، ويحمون مصالحها، كما تكشف عن عمق الفساد السياسي في طائفة من الأنظمة العربية.

منذ عشرين عاماً يتعامل مع إسرائيل، ويتعاطى معها، ويلتقي بقادتها في لندن وواشنطن.. ولا يعرف الناس على سطح الإعلام السياسي عنه إلاّ لغة الشجب والتهديد لإسرائيل..!!

إن هذه الأنظمة السياسية، بين الواقع والتصريحات التي يقدمونها للإعلام، تشبه الكتل الثلجية العائمة على مياه البحار تسع أعشار منها غاطسة في الماء لا تُرى وعُشْرٌ منها فقط تظهر على سطح الماء...

إنّ هذه الأنظمة بين واقعها الغاطس في مستنقع العلاقة بأنظمة الاستكبار العالمي، والشطر الظاهر المسموع والمرئي منها في الإعلام تشبه هذه الكتل الثلجية.. ومن افدح الخطأ أن نتعامل مع

هذه الأنظمة من خلال الإعلام المرئي والمسموع، ومن خلال الخطب والتصريحات السياسية التي يطلقوها بين حين وآخر.

إن لقاءاتنا السياسية وخطابنا السياسي يجب أن يمتلك خلفية غنية من الوعي السياسي والإحاطة بالظروف السياسية المعقدة، والمعرفة بالخلفيات السياسية التي تقع خلف المواقف والقرارات والتصريحات السياسية.

ومن دون هذا الوعي السياسي سوف يقع جمهورنا وساحتنا في تخبّط سياسي واسع... ونحن قد تحدثنا عن ضرورة الوعي السياسي وأهميته الكبيرة في هذه المرحلة... وعلى علماء المسلمين وخطبائهم ومثقفيهم والحركات الإسلامية إشاعة الوعي السياسي ونشره في الأوساط الإسلامية الشعبية.

٥. الحوار بالتي هي احسن

قد ينقلب الحوار إلى جدال عقيم، بل ينقلب إلى عائق يعيق حركة الأمة، وحجاب يحجب المسلمين بعضهم عن بعض، وقد يكون الحوار جسراً للتفاهم والتعاون والتلاقي في المساحات المشتركة السياسية والثقافية والاقتصادية لهذه الأمة، وذلك عندما يكون الحوار بالأسلوب الذي علّمنا الله تعالى بـ (التي هي

أحسن)، وأقوم للعلاقة الحسنة والتفاهم بين المسلمين، يقول تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[2].

ولا سبيل لدفع (نزغ الشيطان) في العلاقة بين أطراف هذه الأمة إلا أن يخاطب بعضنا بعضاً بأحسن ما نستطيع عليه من القول.

٦ـ تحصين اللقاء والحوار:

إن علينا أن نحصّن هذه اللقاءات والحوارات الإسلامية من نفوذ الأنظمة التي تقع تحت سلطان أنظمة الاستكبار العالمي واختراقها، فإنّ هذه الأنظمة تملك من وسائل الإعلام والاستخبار ما يمكّنها من اختراق هذه اللقاءات والحوارات، وإحباطها وإفسادها... ولكي نتمكن من تفعيل هذه اللقاءات واستثمارها يجب علينا أن نحصّن هذه اللقاءات من نفوذ هذه الأنظمة واختراقاتها.

---

١ ـ النحل: ١٢٥.

٢ ـ الإسراء: ٥٣.

أحاديث أهل البيت عليهم السلام في ضرورة اللقاء والحوار

كان أهل البيت عليهم السلام يوجهون شيعتهم واتباعهم دائماً إلى اللقاء والاجتماع بأهل السنة، والحضور معهم في جوامعهم، واجتماعاتهم، ومجالسهم، وندواتهم، وينهونهم عن الابتعاد عنهم، ويؤكدون لهم بضرورة التواجد في الساحة الإسلامية العامة، وحضور الجمعات والجماعات، وتوحيد المواقف في الحج، ولم يردنا ـ ولا حديث واحد ـ عن انفراد أئمة أهل البيت عليهم السلام في موقف من مواقف الحج عن الموقف العام الذي كان يحدده الحكام في تلك البرهة، لعامة المسلمين.

وقد تصدى بعض المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام للدسّ في أحاديثهم عليهم السلام لعزلهم وعزل شيعتهم عن الوسط الإسلامي الكبير.. وكانت هذه الأحاديث على أنحاء، منها أحاديث الغلو، ومنها أحاديث التحريف، ومنها أحاديث فيها تخليط في الفقه، ومنها أحاديث فيها انتقاص وتسقيط لأهل البيت عليهم السلام، ومنها أحاديث في الطعن واللعن على خصومهم.

وكانوا يعملون لإشاعة هذه الأحاديث عنه عليهم السلام وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المعنى: «إنا أهل بيت صادقون، لا

نخلو من كذّاب يكذب علينا، فيسقط صدق كلامنا بكذبه»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «إن المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي ، فاتقوا الله ، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا وسنّة نبيّنا»[2].

وروي عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال: «إن أبا الخطاب كذّب على علي بن أبي طالب عليه السلام . لعن الله أبا الخطاب ، وكذلك أصحاب أبي الخطاب، يدسّون من هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن»[3].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث إلى ابن أبي محمود : «يابن أبي محمود ، إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا ، جعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه

---

١ ـ رجال الكشي: ٣٠٥ الرقم ٥٤٩.

٢ ـ رجال الكشي: ١٩٥ ترجمة المغيرة بن سعيد.

٣ ـ رجال الكشي: ٢٢٤ الرقم ٤٠١.

فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا»[1] .

وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعملون لكسر هذا الطوق عنهم وعن شيعتهم بتكذيب هذه الأحاديث وفضح الوضّاعين الذين كانوا يضعون عليهم من الحديث ما لم يتحدثوا به والتأكيد على رفض كل حديث يروى عنهم يخالف القرآن.

فكانوا يقولون: «فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا وسنّة نبينا»، «فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن»[2].

وكانوا يطلبون من فقهاء شيعتهم ورواة أحاديثهم أن يتحرّوا الأحاديث الصادقة المروية عنهم عليهم السلام ويحذروا ما وضعه النواصب والمنحرفون عنهم عليهم من الأحاديث المنتحلة، وكانوا يضعون لهم الأصول والقواعد العلاجية لمعرفة الأحاديث الصادقة، وكانوا يدعون شيعتهم للتعايش مع سائر الطوائف الإسلامية، والانفتاح عليهم ، والتعاطي العلمي والثقافي معهم وحضور اجتماعاتهم وصلواتهم.

وكانوا لا يرضون لشيعتهم أن يعتزلوا الوسط الإسلامي العام،

---

١ ـ عيون أخبار الرضا ١: ٣٠٣.

٢ ـ بحار الأنوار ٢: ٢٥٠ ح٦٢.

فهم جزء من هذه الأمة الكبيرة، واختلافهم عن أهل السنة في بعض الفروع والأصول، ومقاطعتهم للحكام الظلمة الذين كانوا يحكمون المسلمين في العصر الأموي والعباسي لم يكن يحمل معنى الاعتزال عن الساحة والانقطاع عنها.

وقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالسهم، ويأخذون منهم العلم، ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام لوجدناهم أُمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم لكل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيت عليهم السلام يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامة الخط الفكري الصحيح في الأُصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق.

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام دعوة واضحة وصريحة إلى هذا

الانفتاح مع المسلمين والتعايش الإيجابي والتواصل والتعاطف والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أُسامة زيد الشحّام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عزّوجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ. وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، وأن رسول الله ﷺ كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فَيسُرُّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي عليه السلام إنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق

وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان أنّه ادّانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[1].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال عليه السلام «تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[2].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له (الصادق عليه السلام): كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»[3].

وفي رواية أُخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب

١ وسائل الشيعة ٨: ٣٩٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، ح١.
٢ وسائل الشيعة ٨: ٣٩٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، ح٢.
٣ وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، ح٣.

الحنفي قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، وأُحضروا مع قومكم مساجدهم، وأحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حقّ جاره»[1].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض»[2].

ج. في المساحة الاقتصادية

إن عملاً واسعاً يجري اليوم لإلحاق أسواق العالم الإسلامي ومصادر ثرواته الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية، وهو أمر حاصل بالفعل، ولكن الحركة التي تقوم بها الأنظمة في العالم الإسلامي هي إلحاق أسواقنا في العالم الإسلامي وثرواتنا

١ وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، ح٤.
٢ وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة، الباب الأوّل، ح٥.

الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية بشكل كامل.. وهذا الأمر إذا تم يجعل من حركتنا الاقتصادية حركة تابعة لاقتصاد الدول الصناعية الكبرى، وتجعل من أسواقنا معرضاً ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه المصانع في الدول الصناعية الكبرى، وتجعل مصادرنا الطبيعة للثروة مثل النفط والكبريت والصلب والحديد والقطن وقصب السكر والمطاط والتمور مصدراً لتموين المعامل والمصانع في الغرب.

ونتحول من موقع الإنتاج والاكتفاء الاقتصادي إلى مركز لتموين المصانع في الدول الصناعية الكبرى بالمواد الخام التي تحتاجها هذه المصانع ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه هذه المعامل.

وهذه العاقبة أسوأ عاقبة، اقتصادية للعالم الإسلامي، وتؤدي هذه التبعية الاقتصادية إلى تبعية سياسية خالصة، وانهيارات اقتصادية واسعة كما حصل لجنوب شرق آسيا قبل سنين، وتفقدنا حالة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، بشكل كامل.

وكما يستخدم الغرب الآلة الصناعية والاقتصادية في تحقيق (التبعية السياسية) في العالم الإسلامي، بشكل واسع، كذلك يستخدم الغرب المقاطعة الاقتصادية والحظر الاقتصادي

لإخضاع أنظمة العالم الإسلامي لإرادتها السياسية، كما حصل ذلك لإيران وليبيا وسوريا والسودان... عندما امتنعت من تنفيذ إرادتها.

وقد كان بوسع العالم الإسلامي أن يستخدم الآلة الاقتصادية، مثل تصدير النفط في تعديل بعض المواقف الغربية المتطرفة عموماً والأمريكية خصوصاً تجاه العالم الإسلامي، مثل الجنوح المتطرف إلى جانب إسرائيل، والوقوف إلى جانب إسرائيل في كل مراحل عدوانها على فلسطين ولبنان. والتشديد على إيران بسبب محاولاتها لتخصيب اليورانيوم والوصول إلى مرحلة استخدام الطاقة النووية لإنتاج الكهرباء وسائر الغايات السلمية، والسكوت عن إسرائيل ومفاعلاتها النووية وترساناتها التي تختزن ٢٠٠ رأساً نووياً جاهزاً للتفجير والعدوان، كما يقول بعض المؤسسات العسكرية.

لو أن المسلمين كانوا يستخدمون الآلة الاقتصادية في تعديل المواقف السياسية الغربية المتطرفة تجاه العالم الإسلامي لتغير وجه العلاقات الإسلامية ـ الغربية، ولم يتمكن الغرب من أن يمارس هذا النفوذ الواسع في العالم الإسلامي، ولم يسع الغرب

أن يستهتر بهذه الصورة بكل القيم الدبلوماسية والسياسية في علاقاتها بالعالم الإسلامي.

ولكن ما الحيلة إذا كان حكام العالم الإسلامي في الغالب لا يجرءون على التطوّل على الإرادة السياسية الغربية، وبشكل خاص الإرادة السياسية الأمريكية، ولا يمتلكون الشجاعة الكافية لاتخاذ أي قرار سياسي أو اقتصادي يعارض مصالح أنظمة الاستكبار العالمي، ويتجاوز الخطوط الحمراء المرسومة لهم.

إن حركة غاصبة عفوية قامت بها جماهيرنا في مقاطعة البضائع الدنماركية، عندما أساءت صحيفة دانمركية إلى رسول الله ﷺ، وامتنعت الدانمارك من الاعتذار إلى المسلمين ومعاقبة الصحيفة، كان لها تأثير كبير في تعديل موقف الحكومة الدانمركية والحكومات الاسكندنافية، التي وقفت إلى جانب الدانمارك في حينه.

إن الموقف الصحيح في هذه المسألة الخطيرة هو الحضور المليوني الموحّد في الساحة، والهتاف بمقاطعه العولمة الاقتصادية الزاحفة إلى العالم الإسلامي، والمطالبة باستخدام الآلة الاقتصادية في قضايانا السياسية الأُم، والمناداة بتحرير

أسواقنا من سيطرة البضاعة التي تصدرها إلينا الدول الصناعية الكبرى. والدعوة إلى تحرير مصادرنا الطبيعية للثروة وإنتاجنا الزراعي والحيواني من نفوذ الدول الكبرى، والمناداة بالوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي، والتشهير بالأنظمة والحكام الذين يستخدمون مواقعهم في الحكم لتمكين النفوذ الاقتصادي الغربي والشرقي (الاستكباري) من أسواقنا ومصادرنا الطبيعة، ودعوة الجمهور إلى استخدام المقاطعة الاقتصادية عندما يتطلب الأمر، ويتقاعس الحكام ويجبنون عن اتخاذ القرار الاقتصادي المناسب.

إن الحضور الواعي القوي للأمة في الساحة الإسلامية، في كل المراكز والحواضر والعواصم الإسلامية يؤدي بالضرورة إلى تعديل قرار كثير من الأنظمة والحكام الذين يحكمون العالم الإسلامي، كما يؤدي إلى تعديل القرارات الاقتصادية والسياسية لدول الاستكبار العالمي تجاه العالم الإسلامي وتخفيف الضغوط السياسية والاقتصادية عليه.

ثالثاً ـ الأعمال والمشاريع المشتركة

قرأنا فيما سبق أن النقاط الثلاثة التالية من أفضل المناهج لمكافحة الفتنة الطائفية.. وهذه الثلاثة هي:

١ ـ الوعي والخطاب.

٢ ـ اللقاء والحوار.

٣ ـ العمل المشترك.

وقد تحدثنا فيما مضى عن النقطة الأولى والثانية، وها نحن نتحدث إن شاء الله عن النقطة الثالثة، وهي العمل المشترك، سواءً كان العمل في المجال العملي والثقافي أم في مساحة العمل السياسي، أم في المساحة الاقتصادية.

والتجارب العديدة التي مارسها المسلمون في الآونة الأخيرة في المشاريع الاقتصادية والفقهية تؤكد هذا المعنى.

ونظراً للتحديات العظيمة التي يواجهها المسلمون اليوم لابد من مواجهة هذه التحديات بالمشاريع الإسلامية السياسية والاقتصادية والثقافية التي يشترك فيها عامة المسلمين من كل المذاهب والشرائح الإسلامية. فلم تعد الأعمال الفردية والتي

تقوم بها طائفة من المسلمين كافية لمقابلة هذه التحديات، فإن التحديات التي تواجهنا في ساحتنا أكبر من أن نقابلها بمثل هذه المشاريع.

إن مشاريعنا السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية يجب أن تكون بحجم الأمة كلها.. عندئذ تكون يد الله مع هذه المشاريع، وعليها، إن شاء الله تعالى.

وعندئذ تكون هذه المشاريع والأعمال قادرة على مقابلة التحديات القويّة التي تواجهنا في ساحة عملنا.

جدلية الشرعية والواقع

وسوف أتحدّث عن واحدة من هذه التحدّيات التي تواجهنا في حياتنا السياسية والثقافية، ولا يتأتّى لنا مقاومتها وإحباطها إلاّ ضمن مشروع سياسي وثقافي كبير، وبتضامن إسلامي واسع على قدر سعة هذه الأمة.

أمامنا قضيتان متخالفتان ومتقاطعتان، في ساحة حياتنا ويتوجّب علينا أن نتعامل معها بالضرورة، وليس بوسعنا التشكيك في أي منهما، وليس بوسعنا الإعراض عن أي منها أو كليهما ومقابلته باللامبالاة.

القضية الأولى: وحدة الأمة الإسلامية

وليس بوسع أحد أن يشك في هذه الحقيقة، وقد تلوت عليكم قريباً قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وهذه حقيقة من حقائق الوحي.

ووحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها من غير شك ولا ترديد، وإذا تعددت الولاءات والبراءات تتعدد الأمة، ولا تبقى الأمة واحدة، كما تخبرنا بها سورة (الأنبياء) و(المؤمنون).

ولا يمكن فصل القيادة السياسية والنظام والقرار السياسي عن مسألة الولاء.

كما لا يمكن فصل التقاطعات والصراعات السياسية والعسكرية بين الأنظمة عن مسألة البراءة...

أقول إنّ وحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها، فان الولاء للقيادة السياسية الصالحة للأمة تأتي في امتداد الولاية لله ولرسوله ولأولي الأمر.. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

ووجود ولائين أو أكثر من ذلك ـ في عرض بعض ـ ينافي وحدة الأمة... فضلاً عما إذا كانت هذه الولاءات متعارضة فيما بينها، كما هو حاصل عادة في الأنظمة السياسية المتعددة الواقعة على خطوط سياسية متعددة.

١ ـ النساء: ٥٩.

فلا يمكن أن يتصّف ولي أمر المسلمين بالولاية والطاعة لمجموعة من الأمة، ولا يكون كذلك لمجموعة أخرى من أمة واحدة، وتجب على طائفة من الأمة طاعته ولا تجب طاعته على طائفة أخرى.

أما الولاءات السياسية الطولية (التي يقع بعضها في امتداد بعض) فلا تنافي وحدة الأمة مهما تعددت وكثرت.

إذن لهذه الأمة، طبقاً لهاتين الآيتين الكريمتين من سورتي الأنبياء والمؤمنون قيادة واحدة صالحة.. وهذه هي الحالة الشرعية التي نطلبها في نظام الحكم والقيادة السياسية للعالم الإسلامي.

هذه هي القضية الأولى (: الشرعية).

القضية الثانية: قيام أنظمة متعددة من الحكم في طول العالم الإسلامي وعرضها...

وهذه الأنظمة ـ في الأغلب ـ لا تمثّل الحالة الشرعية لأنها غير صالحة، وغير مؤتمنة على دين الناس ودنياهم، وغير منتخبة من قبل الناس، وإنما تُفرض على الناس بآليات عسكرية، أو عبر

وسائل أنظمة الاستكبار العالمي... وهذه الأنظمة تفرض طاعتها والالتزام بقراراتها على الناس بالنار والحديد والعنف.. والتغرير والتجهيل الإعلامي.

ولابد للناس من الالتزام بقرارات هذه الأنظمة: وهذا هو (الأمر الواقع) اللاشرعي.

وبين هذا (الأمر الواقع) و(الشرعية) تقاطع شديد ولكل منهما ثقافة، وسياسة، وقوانين، وأنظمة، وآليات، وقوة للتنفيذ.

هذه هي الجدلية القائمة بين (الشرعية) و(الأمر الواقع).

ما هو تكليف المسلم تجاه هاتين القضيتين (الشرعية المحظورة) و(الواقع المفروض).

(فلا يجوز) الاستسلام للأمر الواقع المفروض، وإلغاء الحالة الشرعية، و (لا يمكن) تجاوز الأمر الواقع المفروض بالقوة من قبل الأنظمة..

هذه هي الجدلية بين (ما لا يجوز) و(ما لا يمكن) وهي جدلية قديمة في التاريخ الإسلامي.

فما هو موقف (الفقه الإسلامي) تجاه هذه الجدلية الصعبة.

منهج أهل البيت عليهم السلام الفقهي

إن منهج أهل البيت عليهم السلام الفقهي تجاه هذه الجدلية في الفترة الطويلة التي عاشوها في العصر الأموي والعباسي، تتلخص في ثلاث نقاط:

١ ـ النهي عن إسناد هذه الأنظمة ودعمها، وتحريم (التعاون مع الظلمة)، فلا يجوز للمسلم أن يقوم بأي عمل فيه إسناد ودعم لهذه الأنظمة غير الصالحة بأي شكل، ولو كان ذلك بإعداد ليقة دواة للحاكم الظالم.. وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا المعنى. (راجع أبواب حرمة التعاون مع الظلمة في مباحث المكاسب المحرمة). وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وسائل الشيعة وسائر كتب الحديث والفقه.

٢ ـ الأمر بمعايشة الواقع السياسي الاجتماعي لأن الانفصال عنه بمعنى الخروج من ساحة الحياة والانتحار السياسي والاقتصادي.

ولا مناص للمسلمين من أن ينتظم أمر معاشهم ومعادهم ضمن هذا الواقع ولا مناص لهم، من أن يعايشوا هذا الواقع لتستقيم لهم أمور معاشهم ودينهم.. حتى لو يتطلب الأمر أن

ينضمَّ المؤمنون إلى مواقع المسؤولية من هذه الأنظمة الفاسدة، ولكن لا لغاية إنعاشها ودعمها، وإنما لغاية تحقيق الضمان لمعيشة المؤمنين وخدمة الناس في معايشهم ومكاسبهم. (راجع الروايات الواردة في مستثنيات التعاون مع الظلمة و أبواب التقية).

فلا يستغني الناس عن المدارس والجامعات وجهاز الشرطة والمستشفيات والمؤسسات الخدمية وغيرها وكل هذه المؤسسات مؤسسات قائمة ضمن هذه الأنظمة الفاسدة... لا حيلة للناس عنها فيجوز الدخول في هذه المؤسسات لخدمة الناس ويجوز الاستفادة من هذه المؤسسات، ومن دون ذلك تتعطل حياة الناس، والله تعالى لا يريد تعطيل حياة الناس.

وبين الأمر الأول (المحظور) والأمر الثاني (السائغ) فرق واضح.

٣ ـ العمل على تحويل هذا الواقع الفاسد إلى نظام صالح وقيادة صالحة وقوانين وتشريعات صالحة.

وهذه النقطة الأخيرة تختلف من مجتمع إلى مجمع فقد يتم ذلك عن طريق ثورة مسلحة، وقد يكون ذلك عن طريق الترحيل الثقافي والتبليغي للناس، وقد يكون بالوسائل الديمقراطية

الحديثة، التي تمكّن الأكثرية الصالحة من الوصول إلى مواقع الحكم وتغيير الحكم إلى نظام صالح وقيادة صالحة، بصورة سليمة، أو غير ذلك من الوسائل والآليات. (راجع روايات باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبواب الجهاد)

وهذه ثلاثة مشاريع عمل إسلامية سياسية تتطلب مشاركة عامة من المسلمين، من كل المذاهب والفرق والشعوب الإسلامية التي تعاني من سلطة الحكومات الظالمة.

١ ـ مقاطعة الأنظمة الفاسدة وتحريم دعمها وإسنادها، ووجوب عزل هذه الأنظمة عن الأمة والتشهير بها وتسقيطها.

٢ ـ المشاركة الإيجابية في كل مسالك الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والنفوذ إلى مواقع مختلفة من الحكم بهذه الذهنية ولهذه الغاية.

٣ ـ مشاريع اسلمة الأنظمة وإقامة الدولة الإسلامية على أسس شرعية وترحيل الحالة السياسية إلى قيام حكومة عالمية إسلامية صالحة، كما وعدنا الله تعالى في كتابه.. وهذا المشروع يختلف من بلد إلى بلد ومن حالة سياسية إلى حالة أخرى، ولا يخضع لوصفة سياسية أو حركية واحدة.

المشروع السياسي الإسلامي

الأنظمة في العالم الإسلامي ـ في الغالب ـ غير صالحة، ولا يمكن الاعتماد عليها في تقرير الموقف الإسلامي من القضايا السياسية الكبرى في العالم الإسلامي.. ومن الواضح أن المواقف الرسمية للأنظمة تجاه القضايا الكبرى تبقى خاضعة لتأثير الدول الكبرى، وليس بوسع هذه الأنظمة أن تتجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها دول الاستكبار العالمي...

نعم هناك مساحات صفراء يتحرك عليها هؤلاء الحكام.. وقد تكون هذه الحركة مخالفة لقرارات الدول الكبرى...

أما الخطوط الحمراء، فليس بوسع هذه الأنظمة تجاوزها، مهما كان الثمن الذي تدفعها هذه الأنظمة.. مثل النفط، فليس بوسع هذه الأنظمة أن تستخدم «النفط» في قضايا الأمة السياسية، والعكس حاصل فعلاً، فان الدول الكبرى ومجلس الأمن يستخدمان العامل الاقتصادي سلاحاً قاطعاً في قراراتها السياسية، وفي عقوبة الأنظمة التي تتجاوز الخطوط الحمراء، في حين لا يجرأ حكامنا، أو لا يملكون، في أكثر مناطق العالم الإسلامي

تجاوز الخطوط الحمراء ، فيما يتعلق بأنظمة الاستكبار العالمي.

ومهما يكن السبب، فان الساحة الإسلامية الواسعة لا تمتلك اليوم مقومات القرار والموقف السياسي الراشد الإسلامي، إلا ما يصدر بصورة عفوية من مواقف وقرارات يتبناه جمهور المسلمين في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، كما رأينا ذلك في التعاطف الشديد لمواقف المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان (حزب الله)، من جانب جماهير المسلمين في كل أقاليم العالم الإسلامي، وفي المهاجر الغربية، ورغم أن الأنظمة العربية ـ في الغالب ـ كانت ممتعضة من انتصار المقاومة وما سجلتها من انتصارات باهرة خلال ٣٣ يوماً إلا أن تيار التضامن والتعاطف الإسلامي مع حزب الله كان أقوى من أن تعاكسها الأنظمة وأدواتها الإعلامية المسخرة لخدمة مواقفها السياسية... ولكن هذه الأنظمة تمكّنت أخيراً من إبراز كراهيتها لانتصار حزب الله في الاصطفاف الواسع الذي قامت به إلى جانب فؤاد السنيورة وجعجع والحريري وجنبلاط في إفشال مشروع حكومة الوحدة الوطنية التي دعت إليها المعارضة.. وفي مقدمتهم حزب الله. ولولا التصرف العقلائي لحزب الله في هذا الموقف المعارض

لاستئثار الأقلية بالحكم في لبنان، لكانت العاقبة حرباً أهلية واسعة في لبنان، إلا أن (حزب الله) آثر ممارسة الاعتراض، بصورة سلمية، حتى عندما كانت الحكومة تقابل المعارضة بالعنف.. وكفى الله اللبنانيين القتال.

ومهما يكن من أمر فلابد للساحة الإسلامية الكبرى من أدوات نابعة من إرادة الأمّة ومن عمق الساحة لتنضيج القرار السياسي الذي يهم الأمة ـ كلها ـ ولتوحيد الرأي والموقف السياسي في القضايا الكبرى، وتعميمها على كل الساحة الإسلامية وتحشيد الرأي العام الإسلامي لإسناده والوقوف إلى جانبه، وتفعيله في الساحة من خلال المسيرات والاحتجاجات والهتافات والإعلاميات والآليات المشاعة التي يمتلكها الشارع للتعبير عن موقفه ورأيه واعتراضه واحتجاجه وحبه وبغضه.

ومن دون وجود مشروع سياسي ـ مثل هذا المشروع ـ ينضّج الرأي السياسي الراشد الناضج الموحّد ، تبقى الساحة معرضة لأمواج الفتن السياسية، وضغوط وسائل الإعلام الرسمية التي تجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً، وتقرّب البعيد، وتبعّد القريب.

وتبقى الساحة الإسلامية تتخبط بين اختلاف الآراء والمواقف، والفتن، والضغوط الإعلامية.

ولكي تسلم الساحة الإسلامية الكبرى من هذا التخبّط لابد من مشروع سياسي إسلامي كبير، خارج حوزة نفوذ هذه الأنظمة، تمارس هذه المسؤولية في تنضيج القرار والموقف الإسلامي وتوحيده وتعميقه وتفعيله في الساحة.

ولابد أن يمثّل هذا المشروع السياسي كل الشرائح والمذاهب والأقاليم الإسلامية تمثيلاً صادقاً حقيقياً، ليكون لرأي هذا التجمع الإسلامي، النفوذ والتأثير الفعلي على كل الساحة الإسلامية.

ويكون مركزاً لتنضيج القرار الإسلامي الراشد الذي تتبناه الساحة الإسلامية كلها، في المسائل الأم الكبرى في العالم الإسلامي، مثل قضية القدس والمسجد الأقصى، والقضية الفلسطينية، والاحتلال الإسرائيلي لأجزاء واسعة من أراضي الوطن الإسلامي من سورية ومصر والأردن ولبنان، ومثل المشكلة الصومالية، وتدخل القوى المتعددة الجنسيات في دارفور، والمشروع الإيراني النووي السلمي. والاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، والموقف الأمريكي المعادي

للقضية الفلسطينية، والداعم لإسرائيل، والموقف البريطاني، بل الاتحاد الأوروبي من دعم المرتد سلمان رشدي، والموقف الروسي المتعنت من الولايات الإسلامية كالشيشان، وقضية الصحراء المغربية، واضطهاد الأنظمة في العالم الإسلامي لأبناء الحركة الإسلامية، كما في الجزائر وتونس ومصر، وكما في العراق في عهد الطاغية، ومثل الصراع الفلسطيني ـ الفلسطيني بين حماس وفتح، والدعم الإسرائيلي والأوربي والأمريكي والعربي لفتح، وتضييق الحصار على غزة وحماس إقتصادياً وسياسياً وعزل حماس عزلاً سياسياً كاملاً... وأمثال ذلك، والتخريب الواسع الذي قامت به إسرائيل للبنان، انتقاماً لانتصار حزب الله عليها في الحرب التي دارت بينها وبين حزب الله في جنوب لبنان، وسكوت الدول الغربية ـ الأوروبية والأمريكية برمتها تجاه هذا العدوان السافر على لبنان ودعم الموقف الإسرائيلي بشكل مطلق بكل أشكال الإسناد والدعم... وأمثال ذلك.

وقد يتساءل أحد عن الصيغة العملية لهذا المشروع السياسي... فأقول : إنني لست بصدد عرض صيغة محددة لهذا المشروع السياسي... يمكن أن يكون على هيئة مؤتمر دوري لأهل الحل

والعقد من المسلمين ، ويمكن أن يكون بصيغة أخرى... وأيّاً ما تكون الصيغة العملية لهذا المشروع ، فهو مركز سياسي ، يمثل الأمّة الإسلامية، بعرضها العريض ، في تنضيج القرارات والتوصيات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وبلورتها وتقديمها ، في الأمور التي تهمّ الأمّة ، ويكون هذا المركز في مقابل مراكز القرار الرسمية للأنظمة ، يعبّر عن إرادة الناس وانتمائهم وهويتهم الإسلامية ... وهو أمر قائم ، فعلاً، في بعض الحدود ، ولكن يحتاج إلى تثبيت ، وتطوير، وتوسعة، وتعديل، وتقنين، وتبني من قبل المسلمين.

تساؤلات حول هذا المشروع

وقد يثير أحد حول هذا المشروع التساؤلات التالية:

١ ـ أين يمكن إقامة هذا المشروع السياسي المستقل عن الإرادة الأمريكية ـ الغربية، وأمريكا تقول اليوم للسحاب أينما تذهبين فانك تمطرين في مساحة نفوذي وسلطاني.

٢ ـ ما جدوى رأي هذا المركز السياسي إذا كان لا يملك آلية التنفيذ في مقابل قرارات الأنظمة التي ينفذها أصحابها

بالإرهاب والإعلام.

٣ ـ وكيف يمكن عزل رأي هذا المركز أو توصياته عن تأثير ونفوذ الأنظمة ودول الاستكبار العالمي، في هذه الدنيا المتشابكة المتداخلة.

والجواب عن السؤال الأول:

إن ارض الله واسعة ونحن لدينا مناقشات جوهرية في صدقية النفوذ الأمريكي الكوني المطلق، ليس هنا مجال بسط الكلام فيها.

وعن السؤال الثاني:

أقول إن رأي هذا المشروع وتوصياته يكون مدعوماً بالرأي العام الإسلامي، وسوف يكون له دور واضح في تعديل القرارات السياسية للأنظمة إن لم تكن قادرة على إلغائها.

وعن التساؤل الثالث: لا ننفي إمكانية نفوذ الأنظمة ومن ورائها أنظمة الاستكبار العالمي إلى صلب هذا المركز وآرائه وتوصياته، ولكنه على كل حال إمكانية محدودة وليست مطلقة، ولا يمكن أن يحقق أي مشروع سياسي في هذه الدنيا المتداخلة المتشابكة غايته بصورة مطلقة.

وبعد فإننا نرى أن أمثال هذه المشاريع طموحات سياسية واقعية، يمكن أن نسعى إليها وليست ضرباً من الأحلام في واقعنا السياسي المعاش.

المرجعية السياسية للعالم الإسلامي:

نحن اليوم أمة فاعلة قوية على وجه الأرض. ولهذه الأمة ثقل كبير في المعادلات السياسية، وحضور واسع في القضايا السياسية ذات الشأن بالحالة الإسلامية خصوصاً، وبالحالة الكونية عموماً.

ورغم أن أكثر الأنظمة الحاكمة على العالم الإسلامي تعمل لتشتيت هذه القوة الكبرى على وجه الأرض، لكن تبقى الأمة الإسلامية التحدي الأكبر للغرب. والذين يقرءون التاريخ والمستقبل من المنظّرين في الغرب يفهمون هذه الحقيقة، وينذرون أنظمة الاستكبار الغربي من هذا العملاق الذي بدأ ينهض من سباته في القرن العشرين.

وفي ضوء هذا الفهم نقول:

١ ـ إن الحقائق المتقدمة في نهضة الأمة بعرضها العريض لا يمكن أن تخفى على مراكز الرصد الاستكباري في الغرب.

٢ ـ ولابد أن تلقى هذه الأمة تحديات صعبة من ناحية الغرب لإحباط المشروع الإسلامي الكوني الكبير.

٣ ـ ولا تخصّ هذه التحديات إقليما أو قوماً و مذهباً من المذاهب وإنما تعم الأمة الإسلامية برمتها لأن هذه الأمة هي التربة الصالحة للمشروع الكوني الذي يخبرنا به الله تعالى في كتابه: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون) والذي يتنبّأ به المنظرون في الغرب.

٤ ـ إذن المسلمون جميعاً في مواجهة صراع حضاري وعسكري وسياسي وثقافي، قاس، من أقسى ما يعرفه تاريخ الإنسان من الصراعات الحضارية السياسية، والعسكرية، شئنا ذلك أم أبينا.

والمطالبة بالمعايشة السلمية وشجب الحروب والصراعات لا يعفينا من هذه المعركة.. ولسنا نحن الذين ندفع الغرب إلى مثل هذا الصراع، وإنما العكس هو الصحيح، الغرب هو الذي يدفعنا إلى مثل هذه المعركة... فان الكيانات السياسية والعسكرية والثقافية في الغرب يرون أنهم قد وصلوا إلى نهايات التاريخ، والعاقبة التي آل إليها أمر الاتحاد السوفيتي ليس ببعيد عنهم،

والقوانين والسنن التي آلت إلى سقوط الاتحاد السوفيتي هي التي تؤول بهم إلى تلك العاقبة. وهم يدافعون عن أنفسهم في معركة مصيرية بالنسبة لحضارتهم وكيانهم الاقتصادي والسياسي والعسكري، ومن الطبيعي أن يكون هذا الصراع أشرس صراع يعرفه الإنسان، لأنه صراع على الموت والحياة.

٥ ـ ومن أفدح الخطأ أن ندخل هذا الصراع من غير الإعداد المكافئ لهذه المعركة الحضارية، ومن غير الإعداد لآليات هذا الصراع.. والدخول في مثل هذه المعركة من غير الإعداد المكافئ لها يعادل الفشل والهزيمة فيها... يقول تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾[1] وليست القوة كلها السلاح وإن كان السلاح من مقومات ساحة القتال إلا أن دائرة الإعداد الذي يأمرنا به الله تعالى أوسع من السلاح.

٦ ـ ومن أهم الآليات التي تُعدُّ هذه الأمة لدخول مثل هذه المعركة التي نتوقعها كل حين، بل نعايشها اليوم، دون أن ننتبه لها.. في مقدمة هذه الآليات (: المرجعية السياسية الواحدة للأمة الإسلامية)... فليس من الممكن أن تدخل هذه الأمة صراعاً

١ ـ الأنفال: ٦٠.

سياسياً وحضارياً واسعاً، وتواجه تحديات كثيرة، دون أن تمتلك الأمّة (مرجعية سياسية)، توحّد قرارها وموقعها وصفّها.

إن وحدة الأمة ووحدة القرار السياسي لا تتحقق إلا من خلال الآليات التي أعدّها الله تعالى لذلك، وفي مقدمة هذه الآليات المرجعية السياسية التي يسميها الفقهاء بـ(ولاية الأمر).

يقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.

٧ ـ و(الموقع الأول) و(الموقع الثاني) الذين تحدّثنا عنهما مؤسستان إسلاميتان للأمة الإسلامية كلها تتكاملان، يؤدي الأولى دور الشورى وتنضيج القرار السياسي الذي تشير إليه آية الشورى ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾[1] وتقوم الثانية بدور (الولاية السياسية) في حياة المسلمين.. تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.

﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[2].

---

١ ـ الشورى: ٣٨.

٢ ـ المائدة: ٥٥.

الفهرس